وزارة التـــعليم الـــعالي والبـــحث الـــعلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

محاضرات حول مقياس:

النظريات السوسيولوجية الحديثة

مطبوعة بيداغوجية موجّهة لطلبة السنة الثانية ليسانس

علم الاجتماع

إعداد الأستاذة: مريم ارفيس

السنة الجامعية

2025/2024

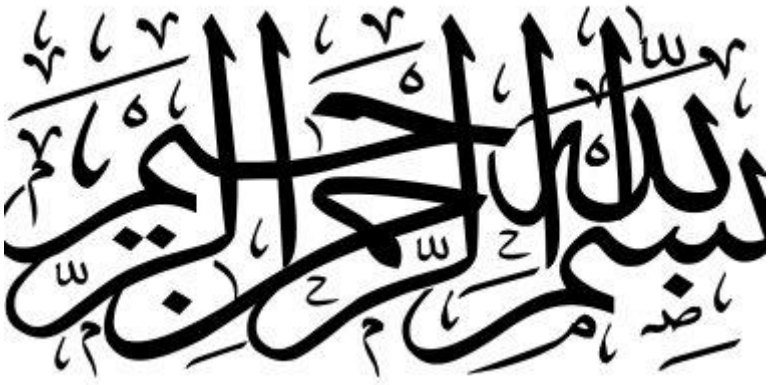

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

قائمة المحتويات:

رقم المحاضرة	العنوان	الصفحة
	بطاقة تعريفية للمقياس	
	مقدمة	10
	السداسي: 03	
المحاضرة 01	ماهية النظرية السوسيولوجية	12
المحاضرة 02	علاقة النظرية بالبحث العلمي	20
المحاضرة 03	النظرية الوضعية أوجست كونت	27
المحاضرة 04	إيميل دوكايم وهربرت سبنسر وميل وباريتو	35
المحاضرة 05	النظرية الماركسية الكلاسيكية	43
المحاضرة 06	نظرية الفعل الاجتماعي	51
المحاضرة 07	النظرية البنائية الوظيفية	56
المحاضرة 08	نظرية الفعل والنسق الاجتماعي	61
المحاضرة 09	إسهامات رواد البنائية الوظيفية	65
	السداسي:04	
	النظريات التوفيقية في علم الاجتماع	
المحاضرة 10	النظرية الماركسية المحدثة	74
المحاضرة 11	النظرية النقدية	81
المحاضرة 12	رايت ميلز والخيال الاجتماعي	96
	البدائل النظرية في علم الاجتماع	
المحاضرة 13	النظرية التفاعلية الرمزية	103
المحاضرة 14	النظرية الظاهراتية (الفينومينولوجيا)	113
المحاضرة 15	النظرية الاثنوميتودولوجيا	121
المحاضرة 16	النظرية البنيوية	127
المحاضرة 17	نظرية ما بعد البنيوية	136
	النظرية السوسيولوجية في مرحلة ما بعد الحداثة	
المحاضرة 18	الحداثة	143
المحاضرة 19	ما بعد الحداثة	147
المحاضرة 20	بعض الأعلام المحدثين (بيير برورديو، جون بودان)	156
	قائمة المراجع	161

بطاقة تعريفية:

الأستاذ: مريم ارفيس

البريد الالكتروني: meriem.refice@univ-msila.dz

عنوان الليسانس: علم اجتماع

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: تعليم أساسية

اسم المادة: النظريات السوسيولوجية الحديثة 01

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 01 سا و 30 د (محاضرة) + 1 سا و30 د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة (40%) + امتحان (60%)

أهداف التعليم:

1. التعرف على ماهية النظرية في علم الاجتماع.
2. التعرف على تبلور النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع.
3. التعرف على الاتجاهات الكلاسيكية في علم الاجتماع.
4. التعرف على النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع.

المعارف المسبقة المطلوبة:

1. معارف حول نشأة علم الاجتماع.
2. معارف حول رواد علم الاجتماع.

القدرات المكتسبة:

1. القدرة على فهم ظروف نشأة النظرية في علم الاجتماع.
2. القدرة على التمييز بين النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع.
3. القدرة على معرفة المفاهيم والقضايا التي تعالجها النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع.
4. القدرة على معرفة السياق المنهجي للنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع واستعمالاتها.
5. القدرة على إسقاط النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع لفهم واقع المجتمع الجزائري.

السداسي: الرابع

اسم الوحدة: تعليم أساسية

اسم المادة: النظريات السوسيولوجية الحديثة 02

الرصيد: 05

المعامل: 03

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 01 سا و 30 د (محاضرة) + 1 سا و30 د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة (40%) + امتحان (60%)

أهداف التعليم:

1. التعرف على النظريات التوفيقية في علم الاجتماع.
2. التعرف على البدائل النظرية في علم الاجتماع.

المعارف المسبقة المطلوبة:

1. معارف حول نشأة علم الاجتماع.
2. معارف حول رواد علم الاجتماع.
3. معارف حول النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع.

القدرات المكتسبة:

1. القدرة على فهم ظروف نشأة النظريات التوفيقية والبدائل النظرية في علم الاجتماع.
2. القدرة على التمييز بين النظريات التوفيقية والبدائل النظرية في علم الاجتماع.
3. القدرة على معرفة المفاهيم والقضايا التي تعالجها النظريات التوفيقية والبدائل النظرية في علم الاجتماع.
4. القدرة على معرفة السياق المنهجي للنظريات التوفيقية والبدائل النظرية في علم الاجتماع واستعمالاتها.
5. القدرة على إسقاط النظريات التوفيقية والبدائل النظرية في علم الاجتماع لفهم واقع المجتمع الجزائري.

مقدمة

لقد كان الفكر الاجتماعي في القرن 18 فكرا سوسيولوجيا بهذا المعنى، على الرغم من فشله الواضح في تطوير مفهوم السوسيولوجي وماهو مناسب لما هو اجتماعي بالدرجة التي يمثله من عناصر اقتصادية وسياسية، وقد طرح الفكر الاجتماعي في القرن 18 عددا من الموضوعات والقضايا الهامة، التي تركها دون حل سوسيولوجي، على العكس من ذلك حاول الفكر السوسيولوجي في القرن التاسع عشر، خاصة كونت وسبنسر وماركس أن يحدد ما هو اجتماعي في ضوء المجتمع ككل بنائي مركب وعلاقته ببعض النظم الخاصة كتقسيم العمل والدين والأسرة.....

في هذا الوقت كان المجتمع المقصود هو المجتمع الصناعي، وكانت الموضوعات المطروحة للبحث لدى علماء الاجتماع الأوائل هي الصراع والاغتراب والتماسك الاجتماعي....، وتمثلت مهمة علم الاجتماعي في تحديد وتعيين القوة التي تدفع وتشجع التغيير التاريخي.

عنى الفكر السوسيولوجي المبكر بفصل المجال الاجتماعي المستقل أي المجتمع المدني عن النظم المركزية للدولة أي المجتمع السياسي، وكانت هذه الفكرة الحاسمة التي جعلت للتاريخ معنى مستقلا عن أفعال ومجريات الحياة اليومية هي ما ميزت الفكر السوسيولوجي المبكر عن علم الاجتماع الكلاسيكي، وعن المدارس الماركسية التي أخذت طابعا سوسيولوجيا.

تميز الفكر السوسيولوجي المبكر بنظرة تفاؤلية فما قدمته العلوم الطبيعية يمكن تطبيقه في العلوم الاجتماعية، وفي هذا المناخ انبثق علم الاجتماع الكلاسيكي كرد فعل عن هذا التفكير

العلمي الوضعي، وكانت القضايا التي انشغل بها متشائمة نوعا ما، حيث أوجد التصنيع تركيبات اجتماعية أدت الى اغتراب الفرد عن مجتمعه، وإضفاء طابع عقلاني على الحياة الإنسانية، لتحولها إلى إنساق بيروقراطية للسيطرة جردت الفرد من شعوره بالاستقلالية.

أصبح علم الاجتماع الكلاسيكي أكثر اهتماما بالذات الإنسانية، وليس على التغيرات واسعة النطاق، وحلّت الطوعية والإرادية محل الحتمية التاريخية، وهذا ما وضع جدول أعمال التطور اللاحق لعلم الاجتماع الحديث.

بدأ الفكر السوسيولوجي الحديث مع أفول النموذج الطوعي والارادي الكلاسيكي، وأصبح الاتجاه الوظيفي هو النموذج المسيطر وارتبط ظهوره المبكر بظهور علم الاجتماع الأمريكي في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد كان علم الاجتماع الكلاسيكي في أغلبه أوروبي النشأة والتطور، وكان ظهور الفاشية الأوروبية والشيوعية والحرب العالمية الثانية عواملا أسهمت في تحويل محور ومركز الفكر السوسيولوجي عبر الاطلنطي، وظل الوضع هكذا حتى الستينيات التي شهدت مدارس جديدة في علم الاجتماع -الظاهراتية ونظرية الفعل والبنيوية والمدرسة الماركسية الهيومانيزمية - والتي استمدت أفكارها من علم الاجتماع الكلاسيكي. **(السيد، 2005، صفحة 05)**

وفي هذه المطبوعة نحاول أن نصف هذه التطورات ابتداء من مفهوم النظرية والاتجاهات الكلاسيكية في علم الاجتماع، إلى الحداثة وما بعد الحداثة.

المحاضرة 01: ماهية النظرية السوسيولوجية

1- **تعريف النظرية:** مجموعة من القضايا المنتظمة التي تحاول تفسير العلاقات القائمة بين الظواهر.
2- **مصطلحات ذات علاقة بمفهوم النظرية:** الوصف، التنميط، التنبؤ، الأطر التصويرية، النموذج، التنظير، المنظور. **(الشتا، 1995، صفحة 9،26)**
3- **تعريف النظرية الاجتماعية:** إهتم الكثير من المفكرين والعلماء بتعريف النظرية

السوسيولوجية بهدف التفرقة بينها وبين النظرية العلمية في مجال العلوم الطبيعية وقدّم هؤلاء تعريفات عديدة أهمها:
تعريف بلالوك قال بأنها تحتوي على قضايا أشبه بقوانين تربط بين متغيرين أو أكثر في نفس الوقت.
تعريف جيب بأنها مجموعة من الأحكام المترابطة منهجيا لتؤكد مشاهدات واقعية تفسر خصائص معينة من الأحداث والأشياء.
تعريف رينولدز اعتبرها جزءا من المعرفة العلمية في شكل قوانين أو بديهيات أو تفسيرات سببية لعلاقة ظواهر المجتمع بعضها ببعض.
تعريف ويلر اعتبرها مجموعة من العلاقات المتكاملة على درجة معينة من الصدق في تفسير ظواهر المجتمع ومشكلاته.
من خلال هذه التعريفات يمكن ان نستخلص أنه بالرغم من أن كل من العلماء يهتم بجانب معين في تعريف النظرية إلّا أن هناك خصائص عامة مشتركة باعتبار أن النظرية الاجتماعية هي مجموعة من القضايا المترابطة والمتناسقة منطقيا، في تفسير ظواهر المجتمع ونظمه ومشكلاته، في إطار منهجي يربط بين النظري والتطبيقي بواسطة منهج علمي، يحدد طبيعة البناء المميز للنظرية السوسيولوجية، في ضوء المنهج العلمي للنظرية العلمية في مجال العلوم الطبيعية .**(الزيات، دت، صفحة 21)**

هي مجموعه من القضايا المصاغة بمصطلحات اجتماعية والتي تحاول تفسير العلاقات القائمة بين الظواهر الاجتماعية، على أساس الفرضية الأساسية التي مؤداها أن المجتمع وظواهره لهما واقعا مستقلا. **(الشتا، 1995، صفحة 17)**

4- من هو المنظر؟

طرح ابيل صفات خاصة بالمنظر الاجتماعي على النحو التالي:
يمكن اعتبار الباحث منظرا إذا ساهم في طرح مجموعة مفاهيم يمكن استخدامها بشكل عام في بناء نواة المعرفة الاجتماعية.
يمكن اعتبار الباحث منظرا إذا تناول أحد المشكلات النظرية التي لها علاقة بتقديم علم الاجتماع في مجال العلم، أي إذا استطاع الاسهام في تطوير وإغناء علم الاجتماع في تطبيق الشروط العلمية عن طريق الدراسة والبحث والاستقصاء.
يمكن اعتبار الباحث منظرا إذا استطاع أن يحرث أحد حقول نشاط الانسان في مجال المعرفة الاجتماعية، من خلال تدريس مادة النظريات الاجتماعية أو من خلال تأليف مؤلف خاص بالنظرية الاجتماعية. (عمر، 2005، صفحة 25)

5- أهداف النظرية الاجتماعية: حدد جانثان ترنر أهداف النظرية الاجتماعية على النحو الآتي:

- تصنيف وتنظيم الأحداث الاجتماعية بأسلوب متسلسل بحيث تقترب من تكوين رؤية واضحة المعالم.
- تفسير أسباب الأحداث الاجتماعية لكي تمنح قدرة على تنبؤ الاحداث المستقبلية وكيفية وقوعها.
- تستطيع أن تقدم معنا دقيقا حول وقوع الأحداث وبالذات حول كيفية وقوعها وأسباب حدوثها.

6- وظائف النظرية الاجتماعية: طرح بريزويت وظائف النظرية الاجتماعية كما يلي:

- إعطاء معنى لنتائج البحث من خلال جعلها ممكنة الاستيعاب وليست منعزلة عن الواقع فهي تتضمن احتمالات وقضايا مجردة.
- انها تثري البحث بواسطة طرح إرهاصات مهمة لاستقصاء المستقبل وبذلك فالعلاقة بين البحث والنظرية تكون تبادلية اذ البحث يمول النظرية بمعلومات جديدة نابعة من الواقع.
- تحفز الاستقصاء المستقبلي في البحث والاستقراء، لأن البحث لا يختبر النظرية فحسب بل يعمل على تطويرها أكثر من اختبارها.
- أنها تقود عملية البحث الاجتماعي إذ تعتبر المصدر الرئيسي لصياغة الفرضيات.
- أنها عنصر موحد في ميدان علم الاجتماع، فالاختلافات والتباينات التي تحصل في تحديد بعض المفاهيم والتعاريف لبعض أنماط السلوك الاجتماع تستطيع النظرية توضيح وتفسير هذه الاختلافات، وبذلك تكون خدمت البحث العلمي وأسلوب الاستقراء للواقع.
- تقدم النظرية القاعدة المنطقية للتنبؤ الاجتماعي، وهذا هو أحد أهداف علم الاجتماع . **(عمر، 2005، صفحة 23)**

أما جود وهات فقد حددوا وظائفها فيما يلي:

- تحديد أنواع البيانات وتجريدها.
- تقديم إطار تصوري يقوم بتنظيف وتصنيف الظواهر المدروسة.
- الوصول إلى الحقائق وإصدار التعميمات حولها.
- تساعد على التنبؤ.
- تساعد على تحقيق المزيد من المعرفة الإنسانية بصورة مستمرة .**(الرحمن، 2006، صفحة 59)**

7- خصائص النظرية السيسيولوجية:

المكونات: تتحدث طبيعة مكونات النظرية باعتبارها نسق استنباطي مكون من مجموعة من الفروض مقسمة بين مقدمات ونتائج، كما تشمل مجموعة من المفاهيم والقضايا والقوانين التي يمكن التوصل اليها أو صياغة تعميمات حولها.

الشروط : يجب أن تكون النظرية واضحة ومحددة وموجزة وشاملة وقابلة للاختبار وقادرة على التنبؤ العلمي، ومتسقة الأفكار ويمكن استنتاج القوانين منها.

الخصائص: تقوم بتجميع الحقائق والمعرفة والنتائج بصورة يسهل عن طريقها إعادة دراستها أو تحميلها، من أجل تطويرها حتى تكون مرتبطة بالواقع المتغير، كما تتسم بالمرونة والتجديد والتطبيق والممارسة . **(الرحمن، 2006، صفحة 61)**

8- منطلقات النظرية الاجتماعية: تم حصر منطلقات النظرية الاجتماعية في عدة احتمالات فلسفية طرحها الفيلسوف اليوناني أفلاطون وهي كما يلي:

- الانسان كائن عضوي.
- ميل أعضاء الانسان للنمو.
- عيش الانسان ضمن جماعات اجتماعية.
- الانسان ما هو سوى حيوان اجتماعي.
- عيش الانسان داخل مجتمع منتظم.
- نظام المجتمع يكون معلوما وواضحا لدى الجميع. **(عمر، 2005، صفحة 26)**

9- أنواع النظرية الاجتماعية:

نظريه منهجيه - نظرية غير منهجية: تبنى النظرية المنهجية على أساس المنهج العلمي أما غير المنهجية فهي تلك التي تتعلق بالحياة اليومية، وبذلك تنهض على فروض موجهة بأفكار وتصورات فكرية معينة عن المجتمع والظواهر.

النظرية الوصفية والنظرية التفسيرية: الوصفية تعالج الخصائص والسمات والعلاقة المميزة للظواهر، بينما التفسيرية تركز على تحليل وغربلة العوامل من حيث تأثيرها على عملية حدوث الظواهر وتفاعلها مع بعضها.

نظرية إيديولوجية ونظريه علمية: الأولى تكون موجهة بأفكار وتصورات فكرية معينة أما الثانية فتقوم على أساس المنهج العلمي.

نظريه استنباطيه - نظرية موضوعيه: تختلف النظريات من حيث المدى الذي تعتبر عنده المعرفة أمرا داخليا وسببا ذاتيا، ومدى معارضتها لكون المعرفة أمرا خارجيا وموضوعيا، ويعتبر أنصار الاتجاه الفينومينولوجي أي التصور الذاتي للأشياء الاستنباطيين من أنصار النوع الأول، في حين أن بعض علماء الاجتماع من أنصار النمط الثاني، ومنهم أنصار النظرية البنائية والوظيفية حيث يركزون على تحليل ودراسة الجوانب الموضوعية للمجتمع وظواهره.

النظرية الاستقرائية والنظرية الاستنباطية : تأخذ النظرية نمطين رئيسيين على أساس الانتقال من الخاص إلى العام والعكس، ويتمثل النمط الأول في الانتقال من الجزء إلى الكل أما الثاني بانتقال من الكل إلى الجزء.

النظرية الماكروسكوبية والنظرية الميكروسكوبية :تختلف النظرية من حيث مستوياتها في التحليل، فيمكن أن تركز على المستوى الفردي ميكروسكوبية ويمكن أن تركز على المستوى العام مايكروسكوبية، وتمثل معظم نظريات علم الاجتماع الثاني، في حين تركز التفسيرات السيكولوجية بصورة أكثر على المستوى الأول.

النظرية الطبيعية الواقعية – والنظرية الاجتماعية تختلف النظريات من حيث أنواع الظواهر التي تستخدم فيها كعوامل تفسيرية، فبعضها يستخدم متغيرات فيزيولوجية أو بيولوجية طبيعية والآخر يركز على الظواهر الاجتماعية.

النظرية البنائية والنظرية الوظيفية :تختلف النظريات من حيث النقاط ومحاور التركيز فبعضها يهتم بتفسير بناء الظواهر، والبعض الاخر يهتم بالطريقة التي تنشأ فيها الظواهر وبطريقة تفسيرها، فمثلا النظريات البنائية الوظيفية تهتم ببناء مجتمع معين على أساس وظائفه الأساسية في حين أن نظرية الصراع تركز على ديناميكية المجتمع . **(الشتا، 1995، صفحة 20)**

10- معوقات النظرية السيسيولوجية:

التوجه الإيديولوجي: يعتبر عائقا في تطوير النظرية، حيث نجد نظريات الرأسمالية او الوظيفية التقليدية محافظة وأخرى ذات الطابع الايديولوجي الماركسي.

التعقيد: وهذا مرتبط أساسا بطبيعة الظواهر الاجتماعية شديدة التعقيد.

المنهج العلمي : لا تزال مشكلة المنهج العلمي من المشكلات الهامة التي تواجه ليس فقط نظريات علم الاجتماع، بل أيضا عمليات تطبيق هذه النظريات وجمع المادة العلمية اللازمة التي يهتم بها علماء الاجتماع عند دراسة الظواهر الاجتماعية.

تحديد أدوات جمع البيانات العلمية : ترتبط هذه المشكلة بمشكلة المنهج العلمي من ناحية وطبيعة النظرية من ناحية أخرى، وعملية اختيار أدوات جمع البيانات المختلفة مثل المقابلة والاستبيان والملاحظة وغيرها تتحدد حسب نوعية كل من الدراسة الميدانية والنظرية.

التفسير والتحليل : لا يزال علماء الاجتماع يواجهون مشكلات عديدة في تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية ومرجع ذلك الى الشكل البنائي للنظرية السوسيولوجية، كما ترجع صعوبة التفسير أيضا الى ازدواجية وتعدد الاطار التصوري والايديولوجي الذي يقوم باستخدامه علماء الاجتماع عند تفسيرهم للظواهر الاجتماعية.

القدرة على التنبؤ : يكشف تحليل التراث العلمي للنظرية السوسيولوجية مدى محدودية هذه النظرية وقدرتها على عملية التنبؤ وهذا ما يوجه انتقادات كبيرة إلى علم الاجتماع والعاملين به.

القوانين والتعميمات : تكشف عملية التنبؤ السابقة عن مدى تعقد الظاهرة الاجتماعية مقارنة بالظاهرة الطبيعية، لأنها تختلف باختلاف المجتمعات وبناءاتها وسياساتها وغير ذلك من العوامل.

صعوبة وجود نظرية سوسيولوجية شاملة: يتفق علماء النظرية على وجود صعوبة نحو تكوين نظريه سوسيولوجية متكاملة حتى المرحلة الراهنة.

11- تقييم النظرية السوسيولوجيه: ظهرت محاولات تقييمية متعددة لنظريات السوسيولوجية يمكن ايجازها فيما يلي:

التقييمات المبكرة لتقييم النظرية السوسيولوجية: جاءت عملية تقييم النظرية السوسيولوجية كنظرية علمية في إطار أربعة تساؤلات أساسية هي:

ما الافتراضات أو المسلمات التي تدور حولها النظرية؟

ما الأدلة على صدق هذه المبادئ أو عدم صدقها؟

ما المضمون الايديولوجي والسياسي للنظرية؟ وما مدى تأثيره على المبادئ العامة او المسلمات الأساسية للنظرية؟

ما هي أهم النتائج العامة التي تنتج عن النظرية؟

المحاولات المعاصرة لتقييم النظرية السوسيولوجية:

مع نهاية القرن 20 ظهرت بعض المحاولات التقييمية للنظرية السوسيولوجية، منها ما أشار إليه كرايب في أربعة أبعاد هامة هي كما يلي:

البعد المعرفي : يركز على تحديد الدور الهام للنظرية السوسيولوجية والذي يتمثل في وصفها وسيلة لإقامة المعرفة عن العالم الاجتماعي.

البعد العاطفي: يستطيع الباحثون والمتخصصون في علم الاجتماع ولا سيما الذين يهتمون بدراسة وتقييم النظرية السوسيولوجية أن يتعرفوا على طبيعة ومدى تأثير البعد العاطفي، لدى أصحاب النظرية، ويؤكد كرايب أن البعد العاطفي في النظرية يعكر صفوها ويسهم بصورة جوهرية في غموض الأفكار ويؤدي إلى المبالغة والتركيز على نقاط دون أخرى.

البعد التأملي : تعتبر النظرية أسلوب وطريقة مميزة لفهم العالم الاجتماعي وقد زادت أهمية هذا البعد خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين، لارتباطه بطبيعة الاسهامات والدراسات النظرية والميدانية لكل من علم الاجتماع والنظرية السوسيولوجية.

البعد المعياري : يؤكد كرايب أن هذا البعد يزيد من حجم وتأثير البعد السابق أي التأملي، لأن أي نظرية تقوم بعملية وصف الواقع يجب أن تطرح في ثناياها عدد من القضايا والافتراضات التي تحيط بالواقع التي تفسره. **(الرحمن، 2006، صفحة 101)**

المحاضرة 02: علاقة النظرية بالبحث العلمي

أولا: ماهية النظرية

تم التطرق إلى هذا العنصر في المحاضرة السابقة باستفاضة.

ثانيا ماهية البحث العلمي:

1- تعريف العلم :هو نشاط يهدف الى زيادة قدرة الانسان في السيطرة على الطبيعة، والعلم بوصفه نشاط إنساني يصف الظواهر ويصنّفها في أنواع العلاقات بين هذه الظواهر لأن فهم العلاقات هو الذي يؤدي الى زيادة السيطرة على الطبيعة.

يمكن تعريف العلم بأنه المعرفة المنظمة بظواهر الكون ووقائعه التي تم التوصل إليها، وصياغتها باستخدام أسلوب أو منهج معين من المناهج العلمية. **(السلام، 2020، صفحة 15)**

2- تعريف البحث العلمي : يعرف على أنه دراسة دقيقة لمشكلة او ظاهرة معينة، تحتمل إمكانية المناقشة والبحث ويكون هدفها الوصول إلى حلول للظاهرة موضوع البحث، عن

طريق اختبارات عميقة للفروض المقترحة، وباستخدام منهج بحثي شامل للتحقيق في كل الشواهد التي تساعد في تفسير الظاهرة، والتي تقود في نهاية المطاف الى التعميم. **(براشدة، 2017، صفحة 93)**

البحث العلمي مجهود منظم لأخذ ملاحظات ولإجراء تجارب، له قيمته العلمية ولا يستحق البحث أن يكون بحثا إلا اذا أقيم لحل مشكلة معينة أكاديمية او تطبيقية، متخذا المنهج العلمي سبيلا لذلك. **(الصاوي، 1992، صفحة 25)**

3- مفهوم الواقع: حسب القاموس العربي الوسيط يأتي مفهوم الواقع بمعنى الحاصل، أي الذي وقع وليس ما ينتظر وقوعه، أما الواقعية كمذهب فلسفي وسياسي فهي منهج على أساسه يلتزم الباحث التصوير الأمين لمختلف المظاهر الطبيعية او الحياتية بصفه عامة كما هي، ومن دون أي تدخل للعواطف أو المثيرات، وهي كذلك عرض الآراء والحوادث بدون مسحة مثالية او ذاتية. **(براشدة، 2017، صفحة 95)**

4- أنواع البحوث العلمية:

- حسب طبيعتها: بحوث أساسية وبحوث تطبيقية.
- حسب مناهجها: بحوث وثائقية وبحوث ميدانية.
- حسب جهة تنفيذها: بحوث أكاديمية وبحوث غير أكاديمية. **(السلام، 2020، صفحة 23)**

5- شروط البحث العلمي : تتلخص في أمرين اثنين هما:

- الأصالة: ويقصد بذلك السلوك العلمي في كل طرق البحث ووسائله ومنهجه بذكاء ونظام ومنطق وأمانة علمية.
- الابتكار: وذلك بإضافة جديدة، أو الكشف عن شيء جديد وذلك بالقراءة الواسعة لما كتبه السابقون والمعاصرون في الموضوع، فالقراءة نصف الابتكار والذكاء متمم لها. **(الصاوي، 1992، صفحة 25)**

6- مناهج البحث العلمي وأدواته: تختلف المناهج باختلاف موضوع البحث نفسه وباختلاف الباحثين وعموما فالمناهج الأساسية المستخدمة في البحث العلمي أربعة هي:

- المنهج التجريبي، لدراسة الظاهرة.
- المنهج الوصفي التحليلي، لوصف الظاهرة.
- المنهج التاريخي، لتتبع الظاهرة.
- المنهج المتكامل في البحوث التطبيقية، للدراسة والتطبيق.

وتنقسم هذه المناهج إلى مناهج جزئية ولكل منهج أدواته التي تستخدم في الدراسة.

7- أدوات البحث العلمي: ترتبط الأدوات بموضوع البحث والمنهج المستخدم في الدراسة، ويتوقف نجاح الباحث في بحثه إلى حد كبير على قدرته باستخدام أدوات البحث، وتتمثل في الملاحظة العلمية، المصادر، المقابلات، قوائم الاستقصاء، طرق التحليل الكمي للبيانات وطرق التحليل الوصفي للبيانات، أيضا أدوات عرض المعلومات وتوضيحها والأشكال و الرسوم البيانية وصور الفوتوغرافية والخرائط وغيرها. **(الصاوي، 1992، صفحة 35)**

ثالثا: العلاقة بين النظرية والبحث العلمي

1- أهمية النظرية في البحث العلمي:

- إن توظيف النظرية يستوجب من الباحث دراستها بشكل دقيق بحيث يستطيع أن يربط تلك العناصر بموضوع دراسته.
- التنبؤ بالوقائع والأحداث: يستفيد الباحث من الحقائق التي تقدمها النظرية وتساعده على فهم الواقع بالأحداث.
- تنظيم المعلومات وتحديد الأهداف، قد يجد الباحث كما هائلا من المعلومات حول موضوع المعين لكنه يحتاج الى تحديد ما يحتاجه منها لدراسة موضوع بحثه، من حيث صياغة مشكلة بحثه وتحديد الأهداف وتوجيه البحث وفق منهجية علمية تساعده على تحقيق تلك الأهداف.
- التطبيق العملي لنتائج الدراسة، حيث تفيد النظرية في تحديد المنهج المناسب للدراسة والأدوات كذلك وبذلك يمكنه الوصول إلى نتائج علمية يمكن تطبيقها على الواقع والمساهمة في تطوير العلم.

2- دور النظرية في البحث العلمي: يمكن تحديد دور النظرية في البحث العلمي من خلال النقاط التالية:

- مجال للتوجيه يستطيع في ضوئه أن يختار المعلومات والبيانات ما يصلح للتجريد.
- تقدم الإطار التصوري الذي ينظم الظواهر والعلاقات المتبادلة بينها.
- تلخص الوقائع في صورة تعميمات تجريبية.
- تعتبر أداة للتنبؤ بالظواهر.
- تحدد الثغرات ومواضع النقص في المعرفة.
- ترتبط النظرية بالبحث العلمي بعلاقه تبادلية يستفيد كل منهما بالآخر.
- تساعد النظرية على تصميم استمارة الاستبانة وتحليل البيانات وتفسيرها.
- تقدم النظرية إطارا معرفيا يساعد الباحث على صياغة مشكلة بحثه وتحديد أهدافه.
- يمكن للباحث اختيار النظرية التي تساعده على تفسير موضوع بحثه.

3- العوامل المؤثرة على الباحث لاختيار النظرية:

البيئة الاجتماعية: تؤثر البيئة الاجتماعية والظروف السياسية والاقتصادية على صياغة الأفكار والآراء التي تكون غالبا العالم لنظرية معينة ومقارنة تلك الأفكار بآراء علماء آخرين تناول نفس النظرية وأهم التطورات التي مرت بها.

موضوع البحث والدراسة : يستطيع الباحث تحديد النظرية التي تفسر موضوع بحثه كما تساهم النظرية في حسن صياغة موضوعه وتوجيهه لتحديد متغيراته والفروض التي يستند إليها.

الدراسات العلمية للنظريات : إن المعرفة والاطلاع على النظريات دون دراسة علمية وتطبيق عملي لا يمكن الباحث من حسن توظيفها في الدراسات العلمية، لذلك فإن الدراسة العلمية للنظريات الاجتماعية كمقرر دراسي لكافة مراحل الدراسة بالمرحلة الجامعية والدراسات العليا يساعد الباحث على الفهم الجيد للنظرية، وتوظيفها حسب موضوع دراسته، وتمكنه من الاختيار الصحيح للنظرية المفسرة لموضوع بحثه. **(الطيف، 2019، صفحة 264)**

4- طبيعة العلاقة بين النظرية العلمية والبحث العلمي: يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين النظرية العلمية و البحث العلمي بعد تحديد المساهمات العلمية التي يقدمها كل منهما للآخر والتي تم تحديدها على ثلاثة أسس:

على أساس الخطوات : تتحدث العلاقة بين النظرية العلمية والبحث العلمي وفقا لهذا الأساس فيما يلي:

- أن البحث العلمي يشتمل على النظرية أو ما يعرف بالاتجاه النظري للبحث و مجموعة المفاهيم المتداولة في البحث، وتحديدا تلك المتضمنة في العنوان، إضافة إلى الإشكالية وما تتضمنه من مفاهيم وعلى الباحث أن يختار المفاهيم التي تستعملها النظرية المتبناة، ولا يخلط بينها، فمثلا إذا تبنى النظرية الماركسية فإنه يتناول المفاهيم الصراع والتغير والثورة والبناء الفوقي...
- الاتجاه النظري في البحث من خلال الفرضيات التي هي محل اختبار.
- في نهاية البحث على الباحث أن يناقش نتائج بحثه في ضوء النظريات التي تضمنها الجانب النظري لبحثه.

على أساس الوظائف: تتحدد فيما يلي:

- تتمثل وظيفة النظرية العلمية في تنظيم البحث وقيادته وتوجيه الباحث إلى أهدافه الأساسية وتوضيح الارتباطات والعلاقات بين المعطيات.
- النظرية تعتبر نقطة البدء في البحث العلمي الذي يعد عملية تفاعلية يتكامل فيها ما هو نظري مع ما هو تطبيقي، وتتحدد هذه النقطة في أي بحث وفقا لمجالين هما:
- الواقع الاجتماعي بأبعاده ومظاهره ومشكلاته المختلفة.

- الأفكار والقضايا والنظريات التي سبق لها تفسير الواقع.

بالمقابل يسعى البحث العلمي إلى الوصول إلى نظريات تصف وتفسر السلوك الانساني والظواهر الاجتماعية المختلفة وذلك من خلال قياس العالم الواقعي وفقا لخطوات منهجية دقيقة.

- لا تثبت صحة النظرية ما لم تصف وتتنبأ بالسلوك الانساني لذلك تبقى محل اختبار وتقييم وتخضع للتعديل أو الرفض كلما كان ذلك واقعيا، وهذا ما يستوجب ملاءمتها مع المقاييس المستخدمة في البحث.
- من خلال الإطار النظري يستطيع الباحث أن يتعرف على ما هو أكثر أهمية لبحثه ، كما يصبح بإمكانه أن يحدد أدوات جمع المعلومات المناسبة، ويعيد مستويات التحليل التي يعالج من خلالها ما تم جمعه من بيانات ومعلومات، و التوجه النظري ينبغي أن يكون حاضرا في كل أجزاء البحث.
- **على أساس الأهداف :** يمكن تحديدها في النقاط التالية:
- يعتبر البحث أحد آليات النظرية الاجتماعية التي بواسطتها تستطيع النظرية أن تبرهن على أحد أهدافها أو قضاياها، التي تريد الوصول إليها أو أن تحول من نصوصها إلى قضايا ناضجة. أي أنه إذا غاب البحث الاجتماعي تفقد النظرية مصداقيتها وبرهانها وتصميمها لأن البحث هو المورد الرئيسي للأحداث الاجتماعية المستمدة من الواقع.
- تهدف النظرية العلمية إلى وضع تفسير عام لسير الظواهر الاجتماعية.
- الدقة النظرية وانضباطها يكون بلوغ الأهداف البحثية.
- تساعد النظرية على التنبؤ وهو إحدى أهداف البحث العلمي.
- كما **خلص معن خليل عمر** إلى جملة من الاعتبارات كما يلي:
- تعمل النظرية على توجيه البحث نحو الموضوعات الجديدة بالبحث.
- تساعد النظرية في تسهيل إدراك مغزى نتائج البحث على اعتبار أن هذه النتائج ليست أجزاءا منعزلة عن بعضها البعض وإنما هي جزء من القضية أكثر تجريدا.
- من خلال توجيهاتها العامة التي تنطوي عليها فإن النظرية تحدد للباحث السياق العام الذي يجري فيه بحثه.
- تقوم النظرية من خلال تصورات والمفاهيم التي تنطوي عليها بتوجيه جميع البيانات وتحليلها. **(حكيمة، 2017، صفحة 272)**

المحاضرة 03: النظرية الوضعية

1- الوضعية القديمة: شاع في العالم اليوناني القديم اتجاهان هما الذريون، والسفسطائيون، وهما يرتبطان أوثق الارتباط بالتوجه الوضعي، واليهما تمتد جذور الوضعية، فمثلا ديمقريطس يجد في مذهب الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ حلا وسطا بين التغير والثبات، وذلك لاقتناعه بأن جميع التغيرات التي تحدث في الطبيعة يمكن ارجاعها إلى عمليات الالتحام والانفصال الدائم للذرات، ومن الواضح أن الافكار التي نادى بها وواجه بها مفكري عصره ترتبط ارتباطا وثيقا بالوضعية الحديثة.

أما السفسطائيون فقد عاشوا في أثينا إبان ذلك القرن الذي فاض بالمذاهب والآراء بسبب التغيرات في المجتمع اليوناني، ومما أكسب السفسطائيين الشهرة والنجاح ازدراؤهم للبحث الميتافيزيقي، واعتمادهم على التجربة في الدراسات. **(الشتا، 2004، صفحة 341)**

2- اوجست كونت الانسان: ولد أوغست كونت في 19 يناير 1798 في العقد الأول من عهد الجمهورية الفرنسية في بلدة جنوب فرنسا، من أب كاثوليكي متجدد ملكي متحفظ موظفا حكوميا، كان والده ينقد الثورة ويشجب أحكام القضاء على الكاثوليكية.

تأثر كونت بمعلمه البروتسنتي في الحساب دانيال انكونتر الذي درس في الخارج وكانت له انتقادات عنيفة للكاثوليكية وهو الذي وجه اهتمام كونت الى الحساب، وأيضا ساهم في تنمية فكره ليصبح مفكرا عظيما ثم دخل كونت جامعة البلتكنيك وانتقل بعد ذلك للحياة في باريس التي عاش بها معظم حياته.

أثناء الهجوم على باريس عام 1814 كان من اوائل من دافع عنها وقد شكلت الجامعة العريقة التي ينتسب اليها كونت معسكرا حماسيا كبيرا احتفالا بعودة نابليون من الحرب وكان كونت واحدا من زعماء زملائه الثوريين، وفي عام 1816 اشتعل الصراع بين طلاب الجامعة وإدارتها بسبب نمط الامتحانات وبعد فترة وجيزة أعلن الحاكم إغلاق الجامعة واعاد تنظيمها، وهو ما اغضب كونت ودفعه للرحيل الى بلدته ولم يبقى بها طويلا لان باريس كانت تمثل له ارض المعركة والحقيقة، حيث رجع اليها مدرسا خصوصيا أملا في الانقلاب الوشيك على الظلم البربري الحالي وتعرف على جنرال أمريكي ساعده في الحصول على منصب مرموق في فرع جامعه البول تكنيك الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن سرعان ما عدمت أحلامه مع إعلان الإدارة الأمريكية تأجيل افتتاح هذه الجامعة لأجل غير مسمى، مما دفعه إلى الاستمرار في تقديم الدروس الخصوصية لمادة الحساب، ولم يتقدم ثانية للالتحاق بجامعة بولتكنيك بعدما فتحت أبوابها من جديد، والتحق بجامعة أخرى غيرت مسار حياته بأكمله.

تعرف كونت على القديس سيمون هنري الذي كان رجلا مبدعا ذو فكر متمرد وهو ما كان له تأثيرا كبيرا على كونت وأعماله حيث أعجب به كثيرا وكان سكرتيره الخاص.

3- البيئة الاجتماعية لكونت: لما ولد كونت كانت فرنسا تحكم بحكومة دستورية تأسست

من قبل التيار المعتدل بعد الإطاحة بالنظام الارهابي، وبعد هزيمة نابليون عام 1814 أمام الملك الذي مات فيما بعد، وبعد هذه الواقعة بعامين نظم نابليون انقلابا عسكريا.

عاصر كونت ثلاث أنظمة سياسية مختلفة وعددا كبيرا من الثورات الشعبية أو الانتفاضات والعصيان المسلح، حيث مرت فرنسا لأكثر من 15 عاما بفترة من الثورات المتتالية وكان ذلك ليس فقط لأسباب سياسية، ولكن أيضا نتيجة عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي عقب الثورة الصناعية، وكون فرنسا رائدة في مجال العلوم الرياضية والطبيعية كان ذلك يؤثر على كل أوروبا.

4- السياق الفكري لكونت: تعلم كونت التقاليد الفلسفية من فلسفة التقدم والتنوير للقرن 18 ، وكان انهيار النظام الاجتماعي في ذلك الوقت له تأثيرا كبيرا على كونت مما جعله ينادي بإعادة هيكلة البناء الاجتماعي على أسس أخلاقية سليمة، بينما عمت الفوضى المجتمع أكثر وزاد التنقيب عن النظام الذي كان تدور حوله كل أعمال كونت.

كان كونت ليبراليا خلال هذه الفترة من حياته خاصة في بداية تكوينها حيث تأثر بالمفكرين الليبراليين خاصه علماء السياسة والاقتصاد كآدم سميث كما تأثر بايمانويل كانط واعتبر ميتافيزيقية كانط أقرب الى الفلسفة الوضعية، وقال بأنه لو قرأ له لوفر عنه الكثير وكان معجبا بالرؤية الكاثوليكية لباسويت وإيديولوجية مونتيسكيو وهيوم وأعجب أيضا بالعلوم الطبيعية

ودرسها بدءا من اليونت حتى توصل الى نظرياته الخاصة بمراحل التقدم الانساني والتي بلورها في فترة هروبه من البوليس.

5- أعمال كونت: نادى كونت بخلق مذهب طبيعي للمجتمع، من خلاله يتم شرح وتفسير تطور المجتمع في الماضي وفي المستقبل، وبناء علم قادر على تفسير القوانين التي تحكم البشر عبر مر الزمن، وبنيت نظرياته على محاولاته لتشكيل مناخ يعتمد على الاستقرار الاجتماعي على مر الفترات التاريخية المختلفة.

أنشا كونت علم اجتماع جديد اسماء الفيزياء الاجتماعية، لكن سرعان ما تم سرقته من قبل علماء الاحصاء الاجتماعي البلغاريين باعتبار أن علم الاجتماع مثله مثل علم الطبيعة يجب أن يكون ذو منفعة جوهريه للإنسان، لاعبا دورا اساسيا في تحسين الظروف البشرية. **من أعماله:** ظواهر العالم الطبيعية، العلم الاجتماعي الجديد، اليات التقدم الانساني، المنهجية الرئيسية، علم الاحصاء الاجتماعي والديناميكا، البناء الاجتماعي، تقسيم العمل، المذهب المعياري، المجتمع المعقد.... **(شنب، 2015، الصفحات 15-43)**

6- المصادر الأساسية التي شكلت الاتجاه الايديولوجي والفكري لكونت:

الفكر الفلسفي: تأثر كونت كثيرا بالفلسفات التقليدية التي طرحها أرسطو ومونتوسكيو و كوندرسيه .

الفلسفة الوضعية: حيث جاءت آراء كل من هيوم وكانط ذات النزعة المعرفية الشمولية من توسيع الآراء المعرفية عند كونت خاصة تبني المناهج الوضعية لما حققت في العلوم الطبيعية من تقدم ملحوظ.

فلاسفة التاريخ: مما لا شك فيه أن آراء كل من فيكون وهيجل وتيرجو وكان لها أثرا كبيرا على كتابات كونت وحاول تطويرها أكثر، وصبغها بروح العصر والنزعة الوضعية العلمية وتوجيهها لحل المشكلات العقلية.

علماء الاقتصاد: تبلورت معالم النزعة المحافظة مع أواخر القرن18 ، عندما وضع آدم سميث مؤلفه ثروة الأمم يوضح معالم الحياة الاقتصادية الجديدة، وحرس كونت على أن يتعرف على اهتمامات علماء الاقتصاد الكلاسيكيين أو ما يعرفون بالاقتصاد السياسي امثال سميث.

7- المنهج العلمي عند كونت: ركّز كونت على أن يوضح طبيعة المنهج الذي يجب استخدامه في علم الاجتماع كما اهتم بملاحظة الظواهر والسعي إلى تصنيفها، وذلك باستخدام ما يعرف بالعوامل العلية أو المسببة لحدوث الظواهر، كما استبعد كافة التفسيرات الميتافيزيقية.

كما حرص على مقارنة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية وإلى أي مدى تطورت هذه الأخيرة بفضل تطور مناهج البحث الاجتماعي، ومن ثم وجب على علم الاجتماع تبني المنهج العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية، من أجل إعادة تنظيم المجتمع.

8- الفلسفة الوضعية عند كونت: جاءت اهتمامات كونت بالفلسفة الوضعية من خلال

أهم مؤلفاته وهي دروس في الفلسفة الوضعية، ومذهب في السياسة الوضعية، حيث عبر فيهما صراحة عن وجهه نظره العلمية حول ماهية وأهداف هذه الفلسفة، واعتبرها الموجه العلمي والنظري للمفكرين والعلماء والمصلحين في المجتمع، والعمل على تغيير الأفكار والمعارف والفلسفات التقليدية التي تعتمد على التراث أو النفس كأسلوب للتفكير فقط، دون الاعتماد على الواقع واستخدام التجربة والملاحظة والمقارنة والدراسات التاريخية والواقعية، وهذا ما قصده من فلسفته الوضعية، التي دعا فيها الى ضرورة اتخاذ مواقف ايجابية لدراسة ما هو قائم بالفعل في المجتمع الخارجي، وعدم تبني النزعات أو المواقف السلبية النقدية التي ترفض هذا الواقع نتيجة لتبنيها ايديولوجيات أو عقائد أو مذاهب أو فلسفات عقيمة، وتقوم على أفكار النقل والتجريد والبعد عن الواقعية والخيال بصورة عامة.

9- الافتراضات الأساسية لعلم الاجتماع عند كونت:

- يرى كونت بأنه يوجد العديد من القوانين الطبيعية اللامرئية أو الخفية التي تنظم العالم الخارجي، وتقف وراء تطور ونمو العقل والمعرفة الإنسانية والقيم السائدة والتي تعتمد على الموضوعية والواقعية.
- حلل كونت طبيعة عملية التغير في المجتمع الخارجي، بأنها عملية حتمية ويمكن إدراكها بواسطة مكونات المعرفة البشرية العقلية أو المعرفة الحسية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والمقارنة.
- ركّز كونت على أهمية علم الاجتماع باعتباره العلم الاجتماعي الجديد، الذي يسعى لفهم واكتشاف القوانين الاجتماعية، على غرار القوانين الطبيعية التي تحكم العالم الطبيعي الخارجي، حيث يسهم أيضا في فهم القوانين الطبيعية التي تدير العالم الاجتماعي الذي يعيش في العالم الطبيعي ككل.
- حاول كونت أن يبرهن على الدور الوظيفي الذي يمكن أن يقوم به علم الاجتماع في دراسة وفهم قوانين الطبيعية والاجتماعية في نفس الوقت.
- يرى كونت أن عملية التطور التي تحدث على جميع جوانب المعرفة البشرية، ما هي إلّا عملية اجتماعية بصورة عامة.
- حدد كونت أيضا غاية علم الاجتماع وماهيته، من خلال الدور الذي يقوم به هذا العلم في دراسة مكونات النسق الاجتماعي الذي يتكون من جزئين رئيسيين هما :الستاتيكا الاجتماعية، والديناميكا الاجتماعية.

حيث يركز الأول على دراسة الطبيعة الاجتماعية والإنسانية وقوانين الوجود الاجتماعي للإنسان، أما الجزء الثاني فيهتم بمعالجه قوانين التغير الاجتماعي التي تعتبر عنصرا رئيسيا من مجالات علم الاجتماع.

- طبيعة النسق الاجتماعي ومكوناته الأساسية والتي يشمل ثلاث أنماط كبرى من الغرائز، وهي غرائز المحافظة على النوع وهي الغرائز الجنسية والحاجات المادية وغرائز تحسين الأوضاع وهي النواحي العسكرية والصناعية والغرائز الاجتماعية وتشمل عمليات التضامن والاحترام والحب الشامل.

10- التطور والتقدم الاجتماعي عند كونت: تكمن أهمية النظرية السوسيولوجية عند كونت

نظرا لأنها تعتبر أولى الملامح الفكرية والتصورية التي حددها عالم اجتماع لم يسبق عن طرحها عالم آخر قبله، وربما جاءت تحليلات كونت النظرية وليدة مجموعة من الأفكار والتيارات الفلسفية والاقتصادية والسياسية، إلاّ أنه سعى جاهدا لأن يبلور الخطوط النظرية العامة لعلم الاجتماع، ويحدد معالمه من حيث مفهوماته وتصوراته ونظرياته ومناهجه وقضاياه ومشكلاته ومجالاته التي اهتم بدراستها ومعالجتها على أسس علمية ووضعية، وهذا ما تبلور بالذات في اهتمام كونت بدراسة عمليات التطور والتقدم الذي يحدث في النظام الاجتماعي.

لقد سعى كونت لتفسير نظريته عن الفلسفة الوضعية من خلال مناقشته لمراحل التقدم، التي عبر عنها في قانون المراحل الثلاث الذي رأى فيه بأن التطور والتقدّم لا يحدث فقط في المجتمعات البشرية، ولكن أيضا في الذات والعقل الانساني، ومن هذا المنطلق عقد كونت مجموعة من الارتباطات التي تفسر عملية التطور والتقدم والمراحل العقلية والمادية، وأنماط الوحدات الاجتماعية، والطبيعة وأنواع النظم الاجتماعية وأيضا المشاعر والأهداف السائدة في **قانون المراحل الثلاث** كما يلي:

	المرحلة العقلية	**المرحلة المادية**	**نموذج الوحدة الاجتماعية**	**نموذج النظام**	**نموذج المشاعر**
01	اللاهوتية	العسكرية	الأسرة	منزلي	المحبة والتعلق
02	الميتافيزيقية	التشريعية	الدولة	جمعي	الاحترام والتقدير
03	الوضعية	الصناعية	الجنس (الإنسانية)	عالمي	الاحسان والخير

(المصدر: عبد الله محمد عبد الرحمن،2006، ص138)

وفي الواقع أعطى كونت مزيدا من التحليل للمرحلة اللاهوتية ولم يعالج كثيرا المرحلة الأخيرة الوضعية، وذلك ربما لحداثته بهذه الفترة، حيث عالج المرحلة اللاهوتية في خمس مراحل فرعيه هي:

مرحلة الأثرية .....الأسرة

مرحلة تعدد الآلهة (الامبراطوريات الشرقية) ..... الدولة والملكية

مرحلة تعدد الآلهة على أساس عقلاني (الاغريق) .....اسهامات الملكية

مرحلة الوحدات الاجتماعية (روما) ....الوطن

الوحدات الدفاعية (العالم الكاثوليكي) .... تحرير المرأة والعمال.

سعى لإعطاء تصور فكري تاريخي مقارنا عن التطور والتقدم، الذي حدث في المجتمعات البشرية، والتي مرّت بمراحل متعددة إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم وهي المرحلة الوضعية أو المرحلة الصناعية، التي أصبحت نظاما عالميا، والتي لم تأتي من فراغ بل سبقها تغيرات عسكرية وتشريعية ونظامية وسياسية مهدت جميعها لتطور المجتمعات الصناعية الجديدة.

11- تقسيم العمل والمجتمع الصناعي عند كونت: يعرض كونت لأهمية تقسيم العمل كنتيجة لانتشار الصناعة في المجتمع الصناعي الحديث، يمكن إيجازها فيما يلي:

- تشكل الصناعة التنظيم العلمي للعمل، وأصبح الانتاج منظما من أجل تحقيق معدلات أعلى من أجل مصالح المجتمع.
- نتيجة لتطبيق العلم في تنظيمات العمل زاد سعي الانسان الى الحصول على المزيد من الثروة.
- يقوم الانتاج الصناعي على أهمية وجود الطبقات العمالية في وحدات الانتاج والمصانع، واعتبار الطبقات العمالية بمثابة ظاهرة اجتماعية جديدة.
- إن أهمية دراسة الطبقات العمالية في المناطق الصناعية توضح حقيقة الصراع سواء كان ظاهريا أم بين العمال وأصحاب العمل، وبين العمال أو البروليتاريا والإدارة أو الرأسماليين.
- نتيجة لزيادة الثروة عن طريق تطبيق الوسائل العلمية في نظام العمل أدّى ذلك إلى ظهور مشاكل أخرى نتيجة زيادة الانتاج وزيادة الفقر.
- يرتبط التنظيم الاقتصادي بطابع العمل الصناعي والعلمي، الذي يخلق المشروع الحر والبحث عن تحقيق المكاسب والربح من جانب الإدارة وأصحاب العمل.
- جاءت أفكار كونت وليده ظروف العصر الذي عاش فيه والتي تقوم على **عدة حقائق أساسية** هي:

- حرية العمل
- تطبيق العلم في الصناعة.
- نشاه التنظيم العقلاني.
- الاهتمام بالقيمة الأخلاقية للفرد. **(الرحمن، 2006، الصفحات 123-148)**

المحاضرة 04: إيميل دوكايم وهربرت سبنسر وميل وباريتو

1- دور كايم وتطور علم الاجتماع:

كان دوركايم أول عالم اجتماع فرنسي أكاديمي محترف يشغل كرسي أستاذية علم الاجتماع عام1913 ، إذ كان علم الاجتماع قبلها يعتبر حرفة أو مهنة، وعمل دوكايم على إجبار الهيئة الأكاديمية على قبول علم الاجتماع كتخصص علمي، كما حدّد في دروسه وأبحاثه مستويات علم الاجتماع التي يمكن الحكم عليه من خلالها وتقييمه، وفي عام 1895 نشر دوركايم أول دراسة منهجية في علم الاجتماع، أشار فيها إلى أنه لم يجد من علماء الاجتماع في القرن 19 من حاول أن يذهب بالعلم بعيدا عن العموميات وعن علاقة المجال الاجتماعي بالمجال البيولوجي.

لذلك اختص دوركايم في تحديد موضوع علم الاجتماع ومجال دراسته والمنهج الملائم له، وعلى الرغم من اسهاماته في دراسة موضوعات التصنيع والانتحار والدين والاخلاق ومناهج البحث العلمي الاجتماعي أثارت العديد من الخلافات إلاّ أن بصماته في تطور علم الاجتماع وبعض مجالات العلم الاجتماعي خاصة له تأثيرا ملحوظا.

في عام 1887 أتيحت لدوركايم فرصة التدريس في جامعة فوردو، التي كانت أول جامعة فرنسيه تطرح مقررات منتظمة ونظامية في مجال العلوم الاجتماعية وبخاصة في علم الاجتماع، وكان لتدريس العلم الاجتماعي أساسا عمليا يتمثل في تدعيم فلسفات التحديد في إصلاح التعليم، وفي الفترة 1877 الى 1902قدم دوركايم سلسة من الدراسات التي حدد فيها الطبيعة العلمية لعلم الاجتماع.

وقد كان كتاب تقسيم العمل وقواعد المنهج في علم الاجتماع والانتحار والأشكال الأولية للحياة الدينية كانت أعمالا بارزة لدوركايم حدد فيها تصوره لعلم الاجتماع، غير أن تعريف لعلم الاجتماع على أنه دراسة الوقائع الاجتماعية الخارجية لا يعني بالضرورة شموله على وضعية محكمة فالوقائع الاجتماعية ليست مجرد أشياء بسيطة توجد على نحو مستقل خارج عن الشعور الانساني والفعل البشري، كما أن علم الاجتماع في نظر دوركايم يعد محاولة لتحديد النمط أو النموذج الذي يكمن وراء الظواهر الملاحظة.

ظل دوركايم في الكثير من أعماله تلميذا مخلصا للاتجاه الوضعي عند كونت، فهو وإن رفض نظرية كونت عن وحدة العلوم كما رفض قانون المراحل الثلاثة لما ينطوي عليه من تأملات ميتافيزيقية، إلّا أنه في الوقت نفسه تقبل فكرة كونت عن الاتفاق والاجماع، كما تقبل اتجاهه السوسيولوجي والعلمي الذي أيد به المفهوم القدري للذات الإنسانية.

تبلور علم الاجتماع الدوركايمي في الأصل داخل الإطار النظري التطوري لكل من كونت وسبنسر، فالمجتمع يكون كلا عضويا تقوم فيه الأعضاء المختلفة بوظيفة محددة للحفاظ على توازنه، ومع ذلك رفض دوركايم رواية سبنسر على الفردية المنهجية وما تضمنته من دعاوى وقضايا نفعية، بنفس الدرجة التي رفض بها الاتجاه الذري الذي كان مسيطرا على تفكير المشتغلين بالعلم الاجتماع في فرنسا حيث ذهب إلى أن التفسير السوسيولوجي يجب أن يكون مستقلا على الشعور الفردي. **(السيد، 2005، صفحة 123)**

نحا بالوضعية منحى علميا فحدد موضوع ومنهج علم الاجتماع، فمن حيث الموضوع حدد خصائص الظاهرة الاجتماعية، ومن حيث المنهج ركز على الموضوعية والعلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية، إلى درجة أنه ذهب الى أننا يجب أن نعتبرها أشياءا خارجية منفصلة عن شعورنا الذاتي، وأنه يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة عن الظاهرة، حتى لا يقع في أسر أفكاره الخاصة، وقد دفعت نزعة دوركايم العلمية المفرطة البعض إلى القول

بأن العامل الحاسم في تمييز علم الاجتماع الدوركايمي على ما سبقه، هو أنه منهج لاستخلاص الوقائع الاجتماعية من تنوع الظواهر الدائم. **(زايد، 2005، صفحة 81)**

2- الوضعية السوسيولوجية والاتجاه التطوري مل وسبنسر:

قدم التصور للوضعية السوسيولوجية عند كونت مفهوم الاجتماعي كمجال متميز ومستقل تماما عن الاقتصاد والسياسة والتاريخ، واعتبر المجتمع موضوع مستقل للدراسة العلمية يتصور نظريا على أنه نسق يتطور في اتجاه التصنيع، غير أن تصور الوضعية السوسيولوجة أخذ بعد كونت شكلين أساسيين:

الأول وجهة النظر التي لاقت قبولا واسعا مؤداها أن مناهج العلوم الاجتماعية لا تختلف عن مناهج العلوم الطبيعية حيث يعرف المجتمع في حدود الكائن العضوي الذي ينشأ ويتطور خلال قوانين طبيعية نوعية.

الثاني يتمثل في الاهتمام المتزايد في المنهج الأمريكي ومن أهمية الاحصاء في صياغة الفروض والتحقق منها.

ويؤكد الشكلان السابقان ضرورة إبعاد المفاهيم والتصورات الفلسفية كمفهوم الإرادة الحرة والمقاصد والدوافع الفردية من دائرة العلم الاجتماعي واعتباره علما موضوعيا.

يعتبر كل من جون ستيوارت ميل وهيرفرت من أكثر علماء الاجتماع المندرجين تحت هذا الإطار العام للوضعية شهرة، وذلك على الرغم من أنهما كانا من أكثرهم نقدا لفلسفة التاريخ عند كونت حتى أن أحدهما وهو سبنسر حاول أن يبتعد بنظرياته السوسيولوجية عن الاتجاه الوضعي وبخاصة عند كونت.

من أهم أعمال مل كتابه نسق المنطق وعلى العكس من كونت واسبنسر لم يحاول مل أن يطور نسقا شاملا واحدا لعلم الاجتماع، بحيث يشتمل على دراسة المجتمع والتاريخ والطبيعة ومع ذلك فقد تقبل المبادئ السوسيولوجية الأساسية عند كونت مثل نظرية المراحل الثلاث وتمييز كونت بين الديناميكا والاستاتيكا والمنهج التاريخي للتحليل كما وافق كونت في اتجاهه العلمي حيث لا يرى أي اختلافات جوهرية بين مناهج العلوم الطبيعية والاجتماعية.

يتكون السياق الذي تبحثه العلوم الاجتماعية في نظر مل من الكائنات الإنسانية لذلك نجده على العكس من أوجست كونت يعتقد أهمية علم النفس.

هذا الاتجاه الوضعي عند مل لم يكن أكثر أهمية بالنسبة لتطور علم الاجتماع عند الاتجاه العضوي الوضعي عند هربرت سبانسر، 1820 ، 1903حيث ارتبط اسم سبنسر بالنموذج

التطوري للتطور الاجتماعي، وبفكرة أن المجتمع عبارة عن نسق وحشد من الأفراد، وكان اهتمام سبنسر مركزا على النمو التطوري لنظم وبناءات الاجتماعية لا في الحالات العقلية.

يعتبر كونت بالنسبة لسبنسر أنه كان مهتما ببحث تقدم الأفكار والتصورات الإنسانية وحاول أن يفسر معرفتنا بالطبيعة وعلى العكس من ذلك يهتم سبنسر ببحث التقدم في العالم الخارجي للأشياء، وحاول أن يفسر أصل الظواهر التي تكوّن الطبيعة، من هنا كان كونت ذاتيا وليس موضوعيا، وحاول سبنسر أن يوحد كل المعرفة في تصوره عن التطور.

إن تطور الإنسانية فكرة قدمها سبنسر من خلالها كما لو كان يشكل حالة خاصة من قانون عالمي وعام، لذلك نراه يقرر أنه لا يمكن أن يكون هناك تقبلا كاملا لعلم الاجتماع كعلم طالما أن الاعتقاد بالنظام الاجتماعي لا يتطابق مع القانون الطبيعي للبقاء.

كانت كتابات سبنسر أكثر شيوعا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر خاصة بين جمهور الطبقة الوسطى المثقفة، وفي هذه الكتابات حاول سبنسر أن يركب بين النزعة الفردية الراديكالية التي استندت إلى الاقتصاد السياسي الحر وبين النزعة الجمعية العضوية المنبثقة عن العلوم الطبيعية خاصة الفيزياء والبيولوجيا.

وتمكن بدوره من أن يقدم نظرية عن التقدم، وصياغة المقومات الأساسية لنظريته عن التطور وذلك عندما نشر داروين كتابه أصل الانواع عام1859 ، وعلى الرغم من اعترافه بقيمة التصور الداروينى عن الانتخاب الطبيعي بالنسبة للعملية التطورية إلا أنه كان يميل إلى تقبل نظرية لامارك عن وراثة الخصائص المكتسبة.

يحدد سبنسر ثلاثة قوانين أساسية للتطور هي:

- قانون استمرار وبقاء القوة او ما أسماه بحفظ الطاقة.
- قانون عدم قابلية المادة للفناء.
- قانون استمرارية الحركة وتمثل فكرة استمرا القوة وبقائها.

لم يكن للنسق السوسيولوجي التي قدمه سبنسر أي تصوره للتطور كعملية كونية ونزعته الفردية السوسيولوجية والشمولية العضوية تأثير واضح ومستمر، حيث عبرت بعض افكاره المحيط الاطلنطي فوجدت ترحابا في العلم الاجتماعي الأمريكي المبكر، أما علم الاجتماع الأوروبي فكان أكثر جدلا ونقاشا لنظرياته خاصه عند كل من زيمل ودوركايم، فقط من أجل أن يسترد بعض المفاهيم السوسيولوجية الأساسية كالبناء والوظيفة والنسق والتوازن والنظام وبالرغم من أن ما قدمه سبينسر من علم اجتماع متحيّز ومعادي للتاريخ فقد أثّر وإلى حد كبير في بعض علماء الاجتماع ذوي التوجه التاريخي، إلّا أنه قد جذب الانتباه بعيدا عن العناصر البنائية في المجتمعات.

كان سبنسر أول منظر اجتماعي يوحد بين التصنيع وبين الشكل الجديد ولامركزي للتنظيم الاجتماعي، وفي هذا الصدد فهو يختلف بشكل حاد مع فكرة مركزية المجتمع التي طورها كونت، ومما لا شك فيه كان الاسهام الحقيقي لسبنسر في النظرية السوسيولوجية ممثلا في فكرته أن المجتمع المتقدم أي المجتمع الصناعي نظرا لقيامه على أسس التمايز المتزايد للبناء والوظيفة وعلى العلاقات المتبادلة والمتساندة بين النظم المختلفة يفتقر بالضرورة إلى وجود مركز واحد مسيطر.

وبمقارنة الكائن العضوي الاجتماعي بالكائن العضوي البيولوجي أوضح سبنسر أنه بينما يوجد في الكائن العضوي الفردي مركز واحد للوعي والشعور، يوجد في الكائن العضوي الاجتماعي مراكز متعددة بتعدد الأفراد، ومع أنه حاول أن يشرح مفهوم البناء اللامركزي إلّا أن شرحه هذا كان بلا شك رؤية لها أهميتها.

كان اهتمام علم الاجتماع عند سبنسر مركزا على المجتمع المدني واستقلاله عن الدولة لكن مدخله الفرد حال دون صياغة نظرية متعمقة حول ما يتسم به المجتمع الصناعي من طابع تناقض وتاريخ ونظامي، ذلك أنه كلما وسعت النزعة الصناعية من آفاق وحريات نظم المجتمع المدني، كلما أوجدت بالتالي وعلى نحو تلقائي اتجاهات مركزية داخل الدولة نفسها.

ويمكن القول أن تصور سبنسر للنزعة الصناعية وتمايز الاجتماعي كان تصورا ناقصا ومعيبا في جانب بالغ الأهمية، هو أنه لم يوفق في فهم وإدراك الخصوصية التاريخية للنزعة الصناعية كتركيب طبقي وكعملية رأسمالية. **(السيد، 2005، صفحة 67)**

3- فلفريدو باريتو ونظرية دورة الصفوة:

باريتو أول من استخدم مفهوم الصفوة في دراسة طبيعة الجماعات الحاكمة والأسس التي تستند اليها في الحكم والأسلوب الذي تتغير به هذه الجماعات ويمكن فهم نظرية الصفوة لدى باريتو بفهم نظريته في المجتمع عامة كما يلي:

نظر باريتو إلى المجتمع على أنه نسق في حالة توازن يتكون من مجموعة من العناصر المتوازنة التي تكون نسقه الكلي والمتمثلة في:

عناصر فيزيقية كالتربة والمناخ والنبات....

العناصر الخارجية وهي المجتمعات الأخرى التي تتفاعل مع المجتمع.

وعناصر داخليه تتمثل في السلالة والعواطف والمشاعر والإيديولوجيات.

كان باريتو ينظر إلى هذه العناصر على أنها تتفاعل في منظومة واحدة، ولكنه أولى اهتماما خاصا للعوامل الداخلية الأخيرة بتأكيده على أن هذه العناصر تشكل نسقا سلوكيا يمكن دراسته من خلال الأفعال التي يقوم بها الأفراد.

أكد باريتو من خلال دراسته لهذه العوامل الداخلي أن المصالح والرغبات والرواسب والمشتقات تتجمع في نمطين للفعل الاجتماعي : أفعال منطقية وأخرى غير منطقية.

الفعل المنطقي : هو نموذج مثالي غير موجود في الواقع، يتحكم فيه العلم والمنطق ولا يتأثر بالعواطف والمشاعر أو المصالح.

الفعل غير المنطقي : وهو النمط السائد في الواقع وتتحكم فيه العواطف والمشاعر والمصالح والإيديولوجيات.
ولكي يوضح باريتو الأسس التي يستند اليها الفعل غير المنطقي استخدم مفاهيم الرواسب والمشتقات.
الرواسب : تشير الى مجموعة من العناصر الثابتة والمستقرة التي تشكل الدوافع والمشاعر والعواطف الكامنة وراء الفعل غير المنطقي حيث يشبه باريتو هذه السمات الثابتة بالنظريات غير العلمية التي تحكم هذا النوع من الفعل.

المشتقات : وهي الجوانب المتغيرة التي تشير إلى مجموعة من الأساليب التي يبرر بها البشر أفعالهم، وهذه التبريرات والأفكار تشبه الايديولوجيات المستخدمة لتبرير افعال الانسان تتغير بتغير الظروف.

أكثر الرواسب ارتباطا بنظرية باريتو في الصفوة هما رواسب التكامل ورواسب استمرار الجماعات، حيث ترتبط رواسب التكامل بالميل نحو الاعتماد على المهارات والقدرات مثل الذكاء والخبرة والقدرة على التواصل مع الغير نحو تحقيق الغايات، أما رواسب استمرار الجماعات فترتبط بالميل نحو التصلب باستخدام القوة والرغبة في الدخول في الصراع المفتوح.

يرى باريتو أن وجود هذين النوعين من الرواسب يخلق في بناء المجتمع الداخلي فيما يسميه التوازن الاجتماعي.

قسم باريتو المجتمع الى فئتين من الناس:

اللاصفوة: وهي الفئة التي تمثل الشريحة الدنيا والتي يعمل بعض أعضائها في السياسة وأمور الحكم فيشكلون صفوة حاكمة وبعضها يعمل في مجالات النشاط غير السياسي أي أنه من الصفوة يؤثرون ولا يحكمون.

الصفوة أو النخبة : في هذه الدورة يرى باريتو أن الصفوة الحاكمة التي تنقسم إلى فئة أقدر على استخدام وسائل الخداع والذكاء وسماها الثعالب وجماعة أخرى تستخدم العنف والقوة لأنها تمثل رواسب الاستمرار وسماها الأسود، لا تتربع على السلطة والحكم للأبد ولكن يتشكل صراع بين الفئتين فيتشكل ما يسمى بتداول السلطة بين النخب الحاكمة ولديهم مكان مرموقة في المجتمع ويؤثرون بطرق مختلفة.

ملخص نظرية باريتو في الصفوة:

أن النخبة الحاكمة تتكون من فئتين:

الثعالب يعتمدون على الخداع والذكاء والأسود يعتمدون على العنف والقوة، ولكن لا تبقى أي نخبة حاكمة في السلطة للأبد، فهناك صراع بين الثعالب والأسود، وهو ما يؤدي الى تداول النخبة على السلطة، ويرى باريتو أن دورة النخبة تحدث لأن هناك مجموعة من العوامل التي تساهم في تدهور النخبة مثل الفساد عدم الكفاءة والفقدان الثقة الى غير النخبة وقد ترتفع غير النخبة الى مستوى النخبة من خلال الذكاء والقدرة والدعم الشعبي.

يرى باريتو أن دورة النخبة ضرورية للحفاظ على التوازن في المجتمع، لذلك فإن الباحثين في علم الاجتماع السياسي يجتمعون على أن باريتو يميل فكره أكثر إلى الأساس النفسي في تأصيله لنظرية الحكم، ويرى أن الصفوة التي تحكم تستخدم ما لديها من رواسب استخداما جيدا وبالتالي قام باريتو في التحليل باستبدال الحتمية الاقتصادية الماركسية بحتميه نفسية أي أساس سيكولوجي. **(فريجة، 2024، صفحة 06)**

المحاضرة 05: النظرية الماركسية الكلاسيكية

1- كارل ماركس الانسان: ولد في 1818 في مدينه تربيف بألمانيا من أسرة يهودية تنتمي للطبقة الوسطى، لكن سرعان ما ارتدت اسرته عن الديانة اليهودية لتعتنق المسيحية. **(الرحمن، 2006، صفحة 379)**

مارس والده المحاماة وأصبح بعد ذلك رئيس محكمة، ويأتي والده ووالدته من نسل طويل من الحاخامات، كان والد ماركس أول شخص في عائلته يتلقى تعليم دنيوي، وترك حياة الفقراء وأصبح مؤيدا لحركه التنوير، وكانت مدينته في يوم ما معقل للأمير ورئيس الأساقفة، وقبل ذلك احتلها الفرنسيون واستولى عليها نابليون، وعان اليهود من قيود المدينة المرهقة، وكانوا يتلقون حقوق متساوية كمواطنين تحت الحكم الفرنسي.

وعندما تمّ تحرير يهود الرابنلاد في حكم نابليون قاموا بدعمه بحماسة، ومع ذلك فقد واجهوا أزمة كبيرة عندما هزم نابليون حيث أعطى مجلس فيينا الرابنلاند إلى بروسيا حيث تمّ حرمان اليهود من حقوقهم المدنية، ومع تهديد والد ماركس بفقدانه وظيفته بالقانون فقد قرر التحول الى بروتسنتي متحرر معتدل في كنيسة بروسيا.

. (شنب، 2015، صفحة 127)

تلقى تعليمه الأساسي والجامعي في جامعات ألمانيا، وخلال فترة شبابه انضم لجماعة هيجل التي كانت تشمل الشباب الألماني المثقف، والذي يتبنى الفكر الثوري التقدمي الذي ينادي بالإصلاح والتغيير الشامل من أجل تقديم حياة اجتماعية واقتصادية أفضل.

لكنه لم يقتنع بأفكاره كثيرا فوضع مقال ينقد فيه المنهج عند هيجل، لكن سرعانه ما لبث أن ترك الحياة الأكاديمية للعمل بالصحافة للتعبير عن آرائه بصورة أكثر.

وذهب لباريس بعد تضييق الخناق عليه من البوليس الألماني، ونشر العديد من المقالات المعبرة عن النضال الطبقي وافكاره عن البروليتاريا، واعتبرها أهم مقومات الثورة، ثم طرد من باريس إلى بلجيكا عن طريق الحكومة الألمانية، وهناك بدأ بالاهتمام بالاقتصاد السياسي وتعرف على صديقه انجلز، لكن ما لبث أن نفي إلى لندن ليعيش فيها بقية حياته.

أما حياته الاجتماعية العائلية فهي مليئة بالتغيرات والأحزان والفقر بالرغم من انتمائه لأسرة من الطبقة الوسطى، وعانى من مرض أليم لسنوات طويلة وماتت زوجته عام 1881 قبل وفاته بعامين كما سبق وفاة زوجته موت اثنين من أطفاله الخمسة، وتوفي كارل ماركس عام 1882.
تلك الأحوال الاجتماعية كانت أحد الأسباب القوية لتكوين آرائه ونظرياته ضد الوضع القائم.

(الرحمن، 2006، صفحة 380)

2- الاتجاه الفكري والايديولوجي لكارل ماركس: جاءت حياة ماركس العلمية والأكاديمية لتعكس الخطوط الفكرية والأيديولوجية التي استبغت بها نظرياته وأفكاره، ففي مرحلة دراسته للقانون تأثر بكتابات المؤرخ كارل فون سافيني صاحب المذهب التاريخي في الدراسات القانونية، كما تلقى دروسا في فلسفة القانون التاريخي على يد جانز الذي تعلم من خلاله طريقه النقد وتحليل التطوري وتفسير التاريخ من خلال رؤية سوسيولوجية.

كما ساعدته رسالته للدكتوراه في الفلسفة في تكوين فلسفة واضحة المعالم حول قضايا الحياة الاجتماعية، ورغم أن ماركس لم يستطع العمل بالجامعة كأستاذ جامعي لفتره طويلة، نظرا لظروف سياسية من جانب الدولة بروسيا، فلقد تفرغ لدراسة بعض العلوم الهامة، مثل علم اللاهوت، والتحق بالعمل الصحفي كما شغل سكرتير التحرير وطور الجريدة وجعلها تنشر الكثير من أفكاره اليسارية والكثير من أفكار زملائه الذين لهم آراء ديمقراطية ثورية.

رجع إلى باريس وكانت هناك التيارات الفكرية الاشتراكية قد وجدت انتشارا واسعا، وسعى لنقد المجتمع الألماني حيث سمحت له الفرصة للنقد السياسي بحرية وركّز على أهمية وجود الطبقة العمالية البروليتاريا، وفي هذه الفترة اختلفت آراء ماركس عن الطبقة العمالية مع رواد المدرسة الفرنسية الاشتراكية، التي تنتهج مدخلا مغايرا للتغير الثوري المركزي وترى في عمليات الاصلاح الاجتماعي السياسي التدريجي السلمي وسيلة للتطور والتقدم.

وفي فرنسا تعرف ماركس على أفكار المدرسة الفرنسية من أمثال سان سيمون وظهرت العديد من المقالات التي كان ينشرها كل من سيمون وماركس، واتفقت كثيرا آرائهما وأفكارهما. وخلال فترة وجوده في باريس التقى ماركس بزميل عمره انجز بعد رحيله الى بروكسل التحق

هو وزميله انجليز بالحزب الشيوعي السري، كما حرص ماركس على قراءة كتاب ثروة الأمم لآدم سميث الذي خطط بعده لكتابه كتابه رأس المال ومؤلفاته عن الاقتصاد السياسي الذي أحدث ضجة كبيرة في بريطانيا وبعد وفاته أكمل صديقه انجز الجزء الثاني للكتاب.

وعلى ضوء مؤلفه رأس المال تم قيام الاتحاد السوفياتي سابقا والتحالف الاشتراكي في أوروبا والعالم.
من خلال حياة كارل ماكس المهنية والفكرية والعلمية والعملية والاجتماعية يظهر أنه كان عالما وباحثا وثوريا نشيطا، ويرى الكثير من المحللين للنظرية السوسيولوجية التقليدية عامة ونظرية ماركس خاصة، إن آراء ماركس لم تأت من فراغ بقدر ما تكشف طبيعة الظروف الاجتماعية والمعيشية له ولأسرته من ناحية والطبقات الفقيرة من ناحية أخرى، وهذا ما جعله يهتم عموما بالثورة من أجل الفقر والفقراء والقضاء على الملكية الخاصة والسياسات الاحتكار والاستغلال من جانب الطبقات الغنية الرأسمالية.

كذلك لعبت الظروف السياسية الأوروبية عامة والألمانية خاصة دورا سياسيا في توجيه أفكار ماركس حول النظم السياسية والاقتصادية ومحاولة إصلاحها، وهذا ما جعله طريدا للسياسة الألمانية خاصة والأوروبية عامة، العلمية والأكاديمية والمهنية المتنوعة لتعكس كيفية إلمامه بالفلسفات المثالية والنقدية والإصلاحية والبرجوازية والاشتراكية. **(الرحمن، 2006، صفحة 381)**

3- النظرية الماركسية:

الماركسية تنقسم الى قسمين متكاملين:

المادية الجدلية: نسبة إلى مؤسسها الأول في العصر الحديث المفكر الفيلسوف الالماني هيجل، الذي أثر تأثيرا مباشرا في أفكار ماركس واستخدامه المادية الجدلية كمنهج وأسلوب للتحليل والنقد والتفكير ولتسير عامه للأشياء والقضايا الجوهرية.

المادية التاريخية: هو يعتبر الموضوع الأساسي للمادية الجدلية، وهو بمثابة القضية الفلسفية الأساسية التي تدور حولها علاقة الوعي بالموجود.

ولقد تبنى ماركس هذه القضية وجعلها محورا أساسيا لنظريته العامة، حيث اقيمت الفلسفة الماركسية على هذه القضية علاقة الوعي بالوجود، وتأكيدها أساسا على البديهة التي تسلم عموما بأن المادة أو الوجود هما الأساس أو القاعدة الرئيسية لظهور الوعي أو الفكر، فالموجود وهو الأساس يسبق الوعي وهو الشيء الثانوي والمرتبط بالوجود، أي لا وجود لوعي بدون الوجود ذاته.

والماركسية كفلسفة أو نظرية إيديولوجية واضحة المعالم تسلم أساسا بأن هناك إمكانية فهم ومعرفة الأساس المادي والاقتصادي للعالم، لاسيما أن هذا الأساس المادي دائما في حركة وتطور مستمر على أساس جدلي وديناميكي. **(الرحمن، 2006، صفحة 385)**

الاغتراب عند مركس:

يحدد ماركس أربع خصائص أساسية للاغتراب هي اغتراب الانسان عن الطبيعة واغترابه عن نفسه واغترابه عن نوعه وبني جنسه، كمصطلح أخذه من فيورباخ واغترابه عن غيره، إلى اغتراب الإنسانية عن نشاطها في نظر ماركس، أي عن نتائج عملها -الاغتراب عن الاشياء -وبالتالي حولت نتائج العمل الى موضوع أو شيء غريب.

وكلما زاد عمل الانسان كلما زاد خضوعا لعالم الاشياء الذي أوجده العمل حيث وضع العامل حياته في الشيء ومن ثم أصبحت حياته لا تنتمي اليه بقدر ما تنتمي إلى هذا الشيء وكلما زاد نشاطه كلما قل حجم ما يمتلكه. **(السيد، 2005، صفحة 86)**

4- الظروف الاقتصادية والاجتماعية: أدى التطور ونشوء النظام الرأسمالي في المجتمعات الأوروبية إلى إزالة العزلة بين المجتمعات والدول وحدوث نوع من التعاون المشترك بينها، حيث كانت المجتمعات البشرية قبل ظهور الدولة والقوميات مجتمعا إنسانيا واحدا، و الحياة وتاريخ البشرية يعتبر تاريخا واحدا، لكن مع تطور نظم الحياة الصناعية أصبح هناك تطورا في سبل الانتاج المادي مرتبطا بأنماط المعرفة والفكر الإيديولوجية.

مما دعت الحاجة إلى وجود علم اجتماعي يهتم بدراسة التناقضات والتغيرات التي صاحبت عمليه التطور الاقتصادي، وقد نجحت العلوم الطبيعية في تطوير مناهجها وأساليبها لدراسة التغيرات التي ظهرت في الحياة الطبيعية.

من ناحية أخرى تصور ماركس أن الرأسمالية كنظام اجتماعي اقتصادي قد تطور بصورة سريعة وبلغ الانتاج الصناعي ذروته، وبذلك فهو يحتاج الى رقابة وتوجيه بصورة واعية خاصة أنه موجه إلى تحقيق رغبات الطبقة الرأسمالية المالكة وحدها، ومن ثم فإن الحاجة ماسة لظهور نظام اجتماعي جديد يلغي هذا النظام الرأسمالي، عن طريق إلغاء الملكية الخاصة واحلالها بالملكية العامة لوسائل الإنتاج.

ويقوم على دراسة هذا النظام وتوجيهه بصورة نظرية وادارية وعملية ليعيد تشكيل كافة المؤسسات والنظم والإدارات الثقافية والمهنية والتربوية والتعليمية المجتمع، ويؤكد ماركس مع ظهور النظام الاجتماعي الجديد تكون قد تبلورت خصائص الطبقة العمالية الجديدة التي يجب أن تسيطر على زمام الأمور السياسية كما يعكس ذلك تاريخ الشعوب اذ تعتبر الوحيدة القادرة على الكشف عن القوانين الموضوعية التي تؤدي إلى التطور الاجتماعي بصورة كاملة وهي الطبقة التي لا تسمح بوجود نظام قائم على استغلال الانسان، وتركز جهودها على إلغاء

هذا النظام الرأسمالي المستغل وإقامة مجتمع جديد لا طبقي، بعد أن تطور الوعي السياسي لديها في نضالها ضد الرأسمالية وضد جميع أنواع الاستغلال الاقتصادي والسياسي والروح والفكري.

كما أشار ماركس الى أهم الظروف التي ساعدت على ذلك وهي حدود الثورة الصناعية في بريطانيا وقيام الثورة الفرنسية، كما بدأت تظهر العديد من الثورات المؤيدة للطبقات العمالية في كل من المانيا وفرنسا والعديد من الدول الأوروبية، والتي يجب أن تمهد لظهور ثورة عالمية لتغير العلاقة الناتجة بين طبقات الاجتماعية في نطاق النظام الرأسمالي.

(الرحمن، 2006، صفحة 388)

5- الظروف الفكرية والإيديولوجية:

تشكل علم الاجتماع نتيجة وجود ثلاثة تيارات أو فلسفات فكرية هي:

الفلسفة الكلاسيكية الألمانية: التي طرحت أفكارها بصورة نقدية واعتمدت على العديد من الآراء المثالية التي تنشد فيها الى إقامة حياة اجتماعية والسياسية وفكرية وثقافة جديدة، وهذا ما يوجد في أعمال كل من الفيلسوف الشهير كانط وهيجل.

الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي : وهذا خلال الفترة التي عاش فيها ماركس في انجلترا حيث تعرف على الكتابات الاقتصادية عن الاقتصاد السياسي، والذي ظهر في كتاب ثروة الأمم عند آدم سميث، وفهم فيها النظام الرأسمالي وقيمة العمل والانتاج والمنفعة الاقتصادية.

الاشتراكية الفرنسية التقليدية: أثرت التيارات والمذاهب السياسية الاشتراكية الفرنسية كثيرا في بلورة أفكار ماركس خلال مرحلة وجوده في فرنسا وخارجها، حيث مهدت النظريات الاشتراكية الى قيام الثورة الفرنسية وتبنت المنظور الاصلاحي للتغيير والتطور.

(الرحمن، 2006، صفحة 390)

6- المنهج التاريخي ودراسة الظواهر الاجتماعية:

الأسس التي تقوم عليها المادية التاريخية وتبنيها عموما المنهج التحليلي الذي استخدمه ماركس في تحليلاته هي:

- ضرورة الاعتماد على التفسير العلمي عند دراسة الظواهر الاجتماعية وعدم الاقتصار على الوصف المجرد.
- ضرورة استخدام التاريخ كمدخل مميز للتعرف على الخصائص المشتركة التي تتميز بها مختلف المجتمعات البشرية.

- ركّز ماركس على ضرورة استخدام نوعين من القوانين عند تفسير الواقع الاجتماعي المتغير، وهما القوانين الاجتماعية العامة والقوانين الخاصة التي تحكم كل بناء أو تنظيم اقتصادي اجتماعي بمفرده. **(الرحمن، 2006، صفحة 392)**

7- نقد النظرية الماركسية:

- جاءت أفكار ماركس حول المادية التاريخية والمادية الجدلية يكتنفها الكثير من الغموض والصعوبات، خاصة عند تفسيرها للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات الحديثة والعلاقة المتبادلة بين الوجود والوعي الاجتماعي.
- النظرية المادية التاريخية التي جاء بها ماركس لم يكن هو من ابتدعها، بل كانت كلاسيكية وموجودة قبله، كما تعتبر المادية الجدلية التي استند إليها ماركس مدعيا أنها أفضل المناهج لدراسة الواقع نظرية طبيعية من الدرجة الأولى وبها العديد من الأخطاء.
- لم يستطع ماركس أن يفصل بين ما أسماه بالبناء التحتي أي الاقتصادي والبناء الفوقي أي الفكري والايديولوجي، من التداخل في العلاقة بينهما.
- جاءت آراء ماركس حول الصراع الطبقي كثيرة المبالغة والمثالية حيث لا يمكن إلغاء الملكية ولا يمكن إلغاء الطبقات في المجتمع.
- أعطى ماركس للطبقات العاملة نصيبا أكبر في تصوراته وتحليلاته، وجاء هذا التميز العاطفي بعيدا عن الواقع الفعلي.
- يصعب قبول آراء ماركس وتفسير آرائه المادية للتاريخ، وتأكيده على أن مجمل التغير السياسي والاجتماعي في تاريخ الإنسانية يرجع الى صراع الطبقات وظهور الحروب الحديثة بين الطبقات بصوره مستمرة، حيث قد يحدث الصراع نتيجة لأسباب أخرى متعددة.
- حرص ماركس بصورة شديدة على تحليل عملية انهيار الرأسمالية لأنها تحمل الكثير من التناقضات بداخلها، ولكن ثبت تاريخيا العكس وهو انهيار الشيوعية ولم يشر ماركس إلى طبيعة التناقضات التي احتوتها الشيوعية المحدثة.
- تضمنت آراء ماركس حول الدولة والبيروقراطية والاغتراب الكثير من جوانب الغموض والمثالية. **(الرحمن، 2006، صفحة 414)**

المحاضرة 06: نظرية الفعل الاجتماعي في علم الاجتماع

1- مفهوم وموضوع علم الاجتماع عند فيبر:

حاول علم الاجتماع كما قدمه فيبر أن يضع إطارا يجمع فيه بين التأكيد الوضعي على التحليل السببي وبين التصور التفسيري للفهم، فعلى الرغم من أن فيبر كان قد شارك زيمل اهتمامه بمسالة تكامل الذات الإنسانية في العلوم الثقافية داخل إطار الفعل الاجتماعي، إلّا أنه خالفه في تأكيده على الدراسات السوسيولوجية ذات النطاق الواسع للنظم والعمليات التي يمكن تصورها من منظور تاريخي أوسع.

لقد عنى الرجلان بمصير الفرد داخل الثقافة الحديثة، ولكن في الوقت الذي ركّز فيه زيمل تحليله على ذرات المجتمع اهتم فيبر بالمقولات الكلية مثل الأخلاق البروتستانتينية والبناء الاجتماعي القائم على التصنيع والبيروقراطية والدولة القومية.

كانت الدراسات الامبريقية والتاريخية التي قدّمها فيبر ذات طابع موسوعي غطّت بحق مجالات عدة كالتاريخ الاقتصادي والاقتصاد السياسي والدراسة المقارنة للأديان ومنهجية البحث في العلوم الاجتماعية.

لم يكن فيبر في بداية حياته العملية والفكرية عالم اجتماع بل نراه نادرا ما يستخدم مصطلح علم الاجتماع في كتاباته الأولى، ولقد انفتح فيبر على علم الاجتماع من خلال التاريخ وعلم الاقتصاد، وكشفت بحوثه ودراساته السوسيولوجية المبكرة على اهتمامه بالقضايا المنهجية والابستمولوجية التي أثيرت في ذلك الوقت نتيجة اقتحام الاتجاه الوضعي للدراسات التاريخية الألمانية من خلال الجزء الأخير من القرن 19 ، حيث كان العلم الاجتماعي في المانيا أكثر تأثرا بالنظرة التطورية عن المجتمع والتي يمثلها أوغست كونت وهربرت سبنسر، إلى جانب تأثره الواضح بثقافة الفكر الماركسي الذي بدأ ينمو في أواخر القرن19 .

كذلك تزامن ظهور وتطوّر علم الاجتماع الألماني مع تطور الحركة السياسية الجماهيرية التي أسلمت الى الماركسية والثقافة الفكرية التي حاولت تنظيم المادية الماركسية في علم متسق للمجتمع.

ومن ثمّ تطور علم الاجتماع الفيبري استجابة للاتجاه الوضعي التطوري من ناحية وللاتجاه الماركسي من ناحية اخرى.

2- النماذج المثالية والفعل الاجتماعي:

تعني النماذج المثالية عند فيبر العناصر الذاتية في الحياة اليومية، أي العناصر الثقافية الفريدة وغير المتكررة والتي لا تعنى بها النظرية الاجتماعية الوضعية، ومن ثمّ تشتمل النماذج على عملية الاختيار.

ولا يعتبر النموذج المثالي بهذا المعنى الذي حدّده فيبر وصفا للواقع بل هو صياغة أو تركيب عقلي يوحّد بين هذه الخصائص الجوهرية لظاهرة معينة، كذلك لا ينطوي مفهوم النموذج المثالي على أية فكرة أخلاقية أو معيارية، بل هو ببساطة تصور منهجي يسهل عملية فهم وتفسير الظاهرة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه لا يرتبط النموذج المثالي بواقع خارجي موضوعي كما أنّه لا يشكل جوهرا يماثل فكرة الروح عند هيجل، إن النماذج المثالية أشكال أو صور خالصة لذلك فإن بعض ملامحها قد لا تمثل أو تتجسد في أشكال ملموسة.

إنها كما تصورها فيبر أدوات للتحليل ذات قيمة ارشادية أو هي أسلوب للكشف عن الظواهر الثقافية المشخصة في اعتمادها وترابطها السببي المتبادل ولتوضيح مالها من مغزى.

حدد فيبر **ثلاثة نماذج مثاليه** متميزة هي : التكوينات والهياكل التاريخية مثل الرأسمالية الحديثة والأخلاقية البروتستانتية، التي تميزت بما لها من طبيعة خاصة والنماذج المثالية المجردة كالبيروقراطية والاقطاع اللذان يميزان مراحل ثقافية وتاريخية مختلفة، ثم أخيرا نماذج الفعل.
ميّز فيبر بين **أربعة أنماط للفعل الاجتماعي** هي:

الفعل العقلاني الموجه نحو تحقيق قيمة مجردة قد تكون أخلاقية أو جمالية أو دينية، وهنا تطلب الغاية لذاتها لا من أجل امكانيات النجاح.

الفعل العقلاني الموجه نحو هدف وفيه يختار الهدف ووسائل تحقيقه بطريقة عقلانية.

الفعل الوجداني الذي يتحدث عن طريق نتائجه الانفعالية على الفاعل.

الفعل التقليدي الذي توجهه العادات الاجتماعية والأعراف.

3- الدين والفعل الاجتماعي - الرأسمالية والاخلاق البروتستانتية:

تعتبر دراسة فيبر الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية أول دراسة سوسيولوجية قدّمها أثار فيها مشكلة التحليل السوسيولوجي لتكوين اجتماعي فريد ومتميز، أي الرأسمالية الأوروبية الحديثة محاولا تفسير تطورها التاريخي باستخدام منهج النموذج المثالي، ويسجّل عام 1904 بداية تحول اهتمام فيبر عن الدراسات التاريخية وتزايد اهتمامه بعلم الاجتماع.

لقد كانت الرأسمالية في نظر فيبر نتاجا لظاهرة تاريخية فريدة ممثلة في البروتستانتية الزاهدة كما كان مغزاها الثقافي مرتبطا في نظره بهذه الأصول المثالية وما أنتجته من بناء استعمال افراد معينين نحو توجهات خاصة من العمل وأنماط متميزة من الفعل الاجتماعي.

ومع أن علاقة الدّين بالنشاط الاقتصادي دار حولها نقاش واسع بين الدارسين قبل فيبر إلّا أنه من الملاحظ انه حتى نهاية القرن الماضي لم تكن هناك تحليلات إحصائية مفصلة، بل إن كان هناك اعتقاد بأنه يوجد علاقة ارتباط عكسي، وجاء فيبر يعنى بصفة خاصة بتوضيح أن العناصر المثالية أي الأفكار الدينية لا ترتبط بالبناء الاقتصادي على نحو آلي أوتوماتيكي بل تعمل في الحقيقة على تشكيل الطرق والوسائل التي يستطيع الأفراد من خلالها القيام بنشاطاتهم اليومية.

4- الانتقادات الموجهة لنظريه الفعل:

- إن الشواهد التي اختارها فيبر دفاعا عن قضيته كانت كلها مستمدة من أعمال كتاب عاشوا كالفين، كما أن تحليلاته تصوّرت وجود علاقة مباشرة بين الأفكار التي عبر عنها هؤلاء الكتاب في كتاباتهم وبين الفعل الاجتماعي.
- أن فيبر لم يقدم شاهدا مستقلا ومؤكدا على أن أحدا من رجال الأعمال البروتستانت المشهورين كان يدين بالأفكار البروتستانتية الزاهدة أو على أن مجتمعات رجال الأعمال البروتستانت كانت متمسكة بالمبادئ الدينية المنظمة سلوكيات الحياة اليومية.
- فشل فشلا ذريعا في محاولته توضيح الطرق التي يفسر بها رجال الأعمال مبادئ البروتستانتية لكي يدرك معاني المفاهيم الدينية بالنسبة للذات، فلقد أسندت المعاني إلى الذات في واقع الأمر إستنادا إلى تفسير النصوص الدينية من جانب عالم اجتماع.
- لم يحاول فيبر أن يقدم أدلة أو براهين أخرى تؤكد صحة قضيته كما يلاحظ أن الشخصية التي استشهد بها فيبر كمثال توضيحي وهي شخصية فرانكلين كانت أبعد ما تكون عن معايير السلوك الزاهد.
- أكدت الانتقادات التي وجهت الى فيبر أن كثيرا من رجال الأعمال البروتستانت كانوا منغمسين في نشاطات اقتصادية تقليدية كالتجارة المستغلة وقت الحروب والأزمات والاشتراك في الحملات الاستعمارية والمضاربات في سوق الأراضي والأموال.
- من أهم نقاط الضعف في قضية فيبر أن الشواهد التي ساقها تدعيما لآرائه كانت كلها مستمدة من التعليم الاجتماعي للطوائف البروتستانتية. **(السيد ا.، 2005، الصفحات 178-196)**

المحاضرة 07: النظرية البنائية الوظيفية

1- معنى الوظيفية: المتتبع للتراث الفكري بصورة عامة، والسوسيولوجي بصورة خاصة يتعرف على استخدامات متنوعة ومعاني مختلفة للوظيفية، وقد حصر دون مارتندال معاني الوظيفية المستخدمة في البناءات النظرية السوسيولوجية في أربعة معاني أساسية هي:

الوظيفة بالمعنى الرياضي.

الوظيفة بمعنى النشاط المفيد.

الوظيفة كخاصية للنشاط الملائم.

الوظيفة كتحديد للنسق والنشاط المبلغ للنسق.

ومن التعريفات التي شاع استخدامها للوظيفة في علم الاجتماع، ذلك التعريف الذي ساقه روبرت ميرتون والذي يشير إلى أنها تتمثل في تلك النتائج والآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي الى تحقيق التكيّف والتوافق في نسق معين. **(الشتا، 2004، الصفحات 288-289)**

2- الإطار التاريخي للنظرية الوظيفية وروادها: ظهر الاتجاه الوظيفي أو الوظيفية كمنهجية ونظرية متميزة لدراسة المجتمع، في أعمال كونت وسبنسر ودور كايم، وفي مجال الانثروبولوجيا ظهر في أواخر القرن 19 والبدايات الأولى من القرن العشرين في كتابات العالم الأنثروبولوجي رادكليف براون ومالينو فيسكي، غير أن دوركايم بصفة خاصة كان أكثر علماء الاجتماع تأثيرا في تطور الوظيفية السوسيولوجية، وذلك لأنه كان يرى أن النظم الاجتماعية توجد فقط من أجل إشباع حاجات اجتماعية معينة. **(السيد، 2005، صفحة 283)**

والواقع أن نشأة الاتجاه الوظيفي قد تأثر إلى حد كبير بالاهتمام الواضح بين العلماء بفكرة الوظيفة، ورغم أن الوظيفية تحدّدت معالمها في إطار علم الاجتماع إلّا أنّها واضحة وسابقة في علوم البيولوجيا لأنّه يتناول الوظائف التي تقوم بها أعضاء الكائن الحي على أنّه نسق يتكون من مكونات متسانده وظيفيا، كما يعتبر فرانزبواس من أوائل علماء الأنثروبولوجيا الذين سبقوا في استخدام المدخل الوظيفي في الانثروبولوجيا الثقافية، و ذهب تماشيف في تحليله لنشأة الوظيفية وتطورها إلى أنها ظهرت في الأنثروبولوجيا وتطورت كرد فعل معارض للنزعتين التطورية والانتشارية.

أما إسهامات كل من دوركايم وتوماس فقد تمثلت في تأكيدهما على فكرة الاسهام أو الدور الذي تسهم به البناءات الاجتماعية في الكل.

ومن رواد الوظيفية مالينوفيسكي وهو الذي اعترض على التفسيرات التطورية والانتشارية للثقافة واعتبار الثقافة وحدة منظمة تنقسم إلى جانبين أساسيين جانب صناعي وفني وجانب يتعلق بشق العادات.

ويذهب مالينو فيسكي إلى أن النظم هي الوحدات الحقيقية للثقافة والتي تضع أنشطة منظمة حول حاجة ما.

وعندما أخذ رادكليف براون الوظيفة الاجتماعية على أنها نصيب النشاط الاجتماعي الجزئي في النشاط الكلي الذي يعد جزءا منه نظر لوظيفة أي ظاهرة من الظواهر على أنها الدور

الذي تؤديه هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية التي تصدر على النسق الاجتماعي الكلي وتعبر عنه.

ويعتبر دون مارتيندال بارسونز من أنصار الاتجاه الوظيفي من خلال نظريته النسق الاجتماعي.

3- أسس النظرية الوظيفية:

- أن نسلم منذ البداية بأن الانسان يحتاج الغذاء والانجاب والمأوى وما إلى ذلك.
- أن دوافع الانسان تبدأ فيسيولوجية ثم يعاد بنائها على أساس العادة المكتسبة.
- أن تفهم الثقافة باعتبارها الجهاز الشرطي الذي يتم من خلال التمرين على المهارات والمعايير إدماج الطبيعة والتربية.
- أن يؤخذ في الاعتبار بصفة أساسية أن الانسان لا يواجه مصاعبه منفردا ولكنه منظم في أسر ومجتمعات محلية وقبائل تخضع السلطة والزعامة فيها للتنظيم الثقافي أي أنها محددة ثقافيا.
- أن رمزية الثقافة تعتبر عنصرا في كل التنظيمات الاجتماعية والتكنولوجية.
- أن الاشباع والارضاء الثقافي للحاجات البيولوجية الأولية تعرض على الانسان متطلبات ثانوية.
- تفترض النظرية الوظيفية أن نسق الانتاج والتوزيع والاستهلاك يجب أن يمارسها وينفذ حتى على مستوى المجتمعات المحلية الأكثر بدائية. **(الشتا، 2004، الصفحات 290-294)**

4- القضايا الأساسية للنظرية الوظيفية:

- تعتبر المجتمعات كليات أي أنساق من أجزاء مترابطة فيما بينها ارتباطا متبادلا، ويكتسب كل جزء ما له من معنى في ضوء علاقته بالكل وله دور معين داخل النسق. **(السيد، 2005، صفحة 293)**
- النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوي على مجموعة من الأجزاء المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا لبلوغ النسق لأهدافه.
- إستناد العملية الاجتماعية لتعدد العوامل الاجتماعية وتبادل التأثير فيما بين تلك العوامل.
- رغم أن التكامل لا يكون تاما على الاطلاق إلاّ أن الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الدينامي لقيام حالة الاستجابة التلائمية للتغير الخارجي، والتي تعززها آليات التلاؤم والضبط الاجتماعي.
- أن التوترات والانحرافات والقصور الوظيفي يمكن أن تقوم داخل النسق غير أنها تحل نفسها بنفسها وصولا للتكامل والتوازن.
- يحدث التغير بصفة تدريجية تلاؤمية أكثر مما يحدث بصفة فجائية.

- يأتي التغير من مصادر ثلاثة رئيسية تتمثل في تلائم النسق وتكيفه مع التغيرات الخارجية، والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والثقافي، والتجديد والابداع من جانب أفراد المجتمع وجماعاته.
- أن العامل الأساسي والهام في خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق العام على القيم. **(الشتا، 2004، صفحة 296)**
- أن الانحراف والتوتر والضغوط توجد كلها كعناصر التعويق الوظيفي، تميل إلى أن تصبح ذات طابع نظامي أو إلى أن تحل في خضم الاتجاه نحو التوازن والتكامل الاجتماعي.
- يأخذ التغيّر الاجتماعي طابعا توافقيا تدرجيا. **(السيد، 2005، صفحة 293)**

5- الاجراءات المنهجية للاتجاه الوظيفي:

- اهتم نيكولا تيماشيف بتحديد الاجراءات والتدابير التي تستخدم عند دراسة الفروض الوظيفية واختبارها، ونظرا لكون الصياغة النظرية للاتجاه الوظيفي ذات الطابع التصوري في بعض جوانبها أكد تيماشيف أن التجربة العقلية هي إحدى هذه الاجراءات والتدابير.

إلا أنه يستند إلى رأي ماكس فيبر بالنسبة للحدود والتحفظات التي يضعها عند استخدام هذه الأداة، أي التصور كإجراء منهجي في التحليل الوظيفي.

- الإجراء الثاني سواء كانت على مستوى الكيف النظري بين موقفين اجتماعيين أو بناء جزئي بحيث يمكن إظهار النتائج المتباينة التي تترتب على هذا الاختلاف.

- والإجراء المنهجي الثالث يتمثل في الملاحظة وتحليل النتائج المترتبة على حدود الاضطرابات المختلفة في المجتمع. **(الشتا، 2004، صفحة 297)**

6- المدخل البنائي الوظيفي لتحليل النسق الاجتماعي: يمكن تحديد أسس التحليل البنائي في العلوم الاجتماعية التي تدعم المعرفة وتحقق تكاملها على النحو التالي:

- تحليل البناء لعناصره الجزئية وكشف العلاقات الموضوعية التي تربط هذه العناصر ببعضها وإعادة تركيبها في بناء جديد يكون أكثر تقدما وارتقاء من البناء الكلي السابق.
- الكشف عن الماهيات الكامنة خلف كل بناء والتي تتمثل في العلاقات الموضوعية القائمة بين عناصر هذا البناء واجزائه.
- التأكد على الصفة الإنسانية التي تعتبر في ضوء هذا الاتجاه أساس دراسة أي بناء، وبذلك تبرز النزعة الإنسانية في الاتجاه البنائي.
- الكشف عن التساند الوظيفي بين عناصر النسق واجزائه والتي تساعد النسق على بلوغ اهدافه.

- تحديد الماهية الكامنة في تلك الوظائف والتي تتمثل في تبادل الأداء الوظيفي بين تلك الأجزاء وهذا التبادل هو الذي يضفي على الوظيفة الاجتماعية معناها ومغزاها بالنسبة للنسق الاجتماعي الكلي.
- التأكيد على الصفة الاجتماعية لوظيفة العناصر والقائمة على فكرة التبادل والتساند مع بعضها. **(الشتا، 2004، الصفحات 300-301)**

المحاضرة 08: نظرية الفعل والنسق الاجتماعي : تالكوت بارسونز

قد يطرح سؤال مفاده لماذا هذا التخطي لكثير من العلماء والتركيز على تالكوت بارسونز ، والإجابة على هذا السؤال متشعبة ولها جوانب متعددة، تلك الشهرة التي حضي بها وأعماله، وهي شهرة لم تتوافر لعالم اجتماع أوروبي أو أمريكي في القرن العشرين، وقد جعلت هذه الشهرة من الوظيفية ومن بعدها نظرية الفعل التي إنتمى إليها بارسونز أشهر نظريات علم الاجتماع وأكثرها قبولا بين علمائه خاصه في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى ذلك فإنّ فكر بارسونز يمثل امتدادا طبيعيا لفكر كل من دوركايم وماكس فيبر.

ظهرت أول اعمال بارسونز المهمة "بناء الفعل الاجتماعي "عام 1937 حيث كان المجتمع الأمريكي يعاني مجموعة من الاضطرابات الاقتصادية.

1- نظرية الفعل والحل المعياري لمشكلة النظام:

فرّق بارسونز بين نوعين من النظام العام، النظام المعياري والنظام الواقعي، حيث يتمثل النظام العام المعياري لارتباطه بمجموعة من المعايير أو العناصر المعيارية سواء كانت غايات أو أي معايير أخرى، أما النظام الواقعي فيتمثل في الحالة الواقعية التي يمكن أن تخضع للقانون العلمي في التحليل.

وبالرغم من أن امكانية إخفاق أي نظام معياري في حالة من الفوضى تحت ظروف معينة، فإنه تبقى حقيقة أساسية تتمثل في أن العناصر المعيارية ضرورية للمحافظة على اي نظام واقعي، فالنظام الاجتماعي العام هو دائما نظام واقعي مادام قابلا للتحليل العلمي لا يمكن أن يحافظ على استقراره دون توظيف فعّال لبعض العناصر المعيارية.

ويبدو أن بارسونز قد اكتشف هذه العناصر المعيارية في أعمال ماكس فيبر ومارشال ودوركايم وباريتو.

يشير مفهوم الفعل الاجتماعي عند بارسونز إلى كل أشكال السلوك البشري التي تحركها وتوجهها المعاني الموجودة في دنيا الفاعل، والفاعل يمكن أن يكون فردا أو جماعة أو تنظيما أو حتى مجتمعا، الفاعل هو أي كيان يسلك في ضوء المعاني التي توجد في بيئته مادامت هذه المعاني يشترك فيها الجميع، فإنّ الفعل الاجتماعي الذي يأتيه فاعل معين لا يتم إلّا داخل موقف.

والفعل الاجتماعي لا يمكن أن يتم إلّا إذا توافرت عدة عناصر هي : الفاعل والموقف بما يحويه من موضوعات فيزيقية واجتماعية والرموز التي من خلالها يتم التواصل داخل الموقف والمعايير التي تواجه سلوك الفاعل وتضبطه. **(زايد، 2006، صفحة 95)**

صنّف فيبر الفعل الاجتماعي إلى **أنماط مثالية** هي:

الفعل العقلاني المرتبط بغاية، ويشمل معناه افتراض القصد وقد أخذ هذا النمط أسماء منها الفعل الغائي أو الذرائعي أو الوسيلي.

الفعل الاجتماعي العقلاني المرتبط بقيمة، بمعنى احتكام الفاعل كاختياره لمسار الفعل الى قيمة اجتماعية موجهة.

الفعل الاجتماعي التقليدي، والذي توجه اختيارات الفاعل في تقاليد وأعراف الجماعة التي ينتمي اليها.

الفعل الاجتماعي الوجداني، وهو الفعل الذي توجهه المشاعر والعواطف.

اعتبر بارسونز الفعل الاجتماعي وحدة التحليل الأساسية في أي نسق اجتماعي، وقد صنّف إضافة لتصنيفات فيبر الفعل الاجتماعي إلى:

الفعل الاجتماعي الوسيلي الموجه لتحقيق غاية ويرتبط بمستوى إدراك الفاعل.

الفعل الاجتماعي التعبيري بما يتضمن من تعبير عن حالات الرضا والاعتبار ويعتبر اذن عن الحالة الوجدانية للفاعل.

الفعل الاجتماعي القيمي، ويرتبط بالمعايير والقيم والجانب الخلقي لدى الجماعة، وهو يرتبط بالنظام وينطوي معناه إلى درجة ما بالتكامل في النظام الاجتماعي.

2- نظرية النسق الاجتماعي:

اكتشف بارسونز أن نظرية الفعل الاجتماعي كما تمّ طرحها تساعد في تفسير السلوك ولكنها لا تفسر قيام النظام الاجتماعي واستمراره، ولهذا تحول إلى تناول الفعل الاجتماعي في إطار النسق الاجتماعي

ظهر هذا التحول في كتابه النسق الاجتماعي حيث ادخل الفاعل في علاقة مع الآخر أو الآخرين، فالنسق الاجتماعي يشير في معناه الى مجموعة من الفاعلين في عملية تفاعل، ضمن موقف يشمل على الأقل وجها فيزيقيا بيئيا، وفاعلين لديهم حوافز لتعظيم المنفعة والرضا، وحيث تحدد علاقاتهم بالموقف بما في هذا علاقاتهم بالبيئة والنسق الثقافي للجماعة وما يتضمنه هذا من رموز مشتركة.

تلعب عملية المأسسة عند بارسونز أهمية كبيرة في تشكيل لصق منتظم متكامل، وتحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفعل الاجتماعي والفاعل الى التركيز على الدور والمكانة، واعتبارهما أساس تحليل النسق الاجتماعي، ويتضمن هذا التحول تحولا من الاهتمام بالعوامل الفردية إلى اعتبار البناءات والنظم أساسا في تشكيل الفعل الانساني.

لقد استخدم بارسونز نموذج الوظائف الأربع لتحليل أنفاق المجتمع الفرعية حيث هذه بين أنساق فرعية أربعة:

النسق الاقتصادي : ويشمل مجموعة الأنشطة الخاصة بالإنتاج والتوزيع.

النسق السياسي : ويشمل مجموعة الأنشطة التي تتصل باتخاذ القرارات وتعبئة الموارد.

الروابط المجتمعية : وهي مجموعة النظم التي تعمل على إقامة علاقات متبادلة بين الأفراد والجماعات وتجعلهم يحققون درجة عالية من التضامن مثل القانون والدين.

النسق الرابع متمثل في التنشئة الاجتماعية وهو يقوم بوظيفة المحافظة على نمط المجتمع، فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتم نقل ثقافة المجتمع الى الأفراد. **(عثمان، 2008، صفحة 53)**

3- التغير والصراع في النسق الاجتماعي:

لا يمكن فهم معالجة بارسونز لقضيتي التغيّر والصراع دون الإشارة إلى مفهومه عن التوازن البنائي، والذي بمقتضاه يتمّ استيعاب أي تغيرات حاسمة داخل النسق الاجتماعي، والتوازن هو أعلى صورة من صور التكامل والنظام داخل النسق، وكل مظاهر عدم التكامل داخل النسق ينظر اليها بارسونز على أنها انحرافات عن الأطر والمعايير القائمة، ومن ثم يجب أن يواجهها النسق بعمليات ضابطة تعيد إليه التوازن.

وفي مقابل السلوك الانحرافي يولد النسق مجموعة العمليات التي تواجه هذا السلوك منحرف في عمليتين، الأولى تحاول أن تتفادى الانحراف وهي عملية التنشئة الاجتماعية وثقافية،

والثانية مجموعة من الميكانيزمات يواجه بها النسق الانحراف بعد أن يقع وهي عملية الضبط الاجتماعي. **(زايد، 2006، صفحة 116)**

المحاضرة 09: إسهامات رواد البنائية الوظيفية

1- روبرت ميرتون والبدائل النظرية :

يعتبر من الوظيفيين الذين حاولوا الاستجابة للمشكلات المنهجية والمعرفية في الاتجاه الوظيفي سواء تلك التي ظهرت قديما أو الخاصة بطروحات وقد تناولت محاولاته دراسات في النظرية وعلاقاتها بالبحث الميداني، واللامعيارية والانحراف، وتعديل فرضيات الوظيفية، والجماعات المرجعية والسلوك والشخصية.

يرى ميرتون أن النظرية يجب أن ترتبط بالواقع الامبريقي ليس فقط في بنائها وإنما في امكانية التحقق من صحتها وقد رأى أن هذه مشكلة النظريات الشاملة التأملية.

بعد محاولة ميرتون ربط النظرية الوظيفية بالواقع حاول الاستجابة لبعض الانتقادات الأساسية التي كانت وجهت للوظيفية وخاصة حول الافتراضات التي ظهرت لدى أوائل الوظيفيين وهي:

افتراض الوحدة الوظيفية للنسق الاجتماعي.

الشمولية الوظيفية للعنصر أو البناءات الاجتماعية والثقافية.

افتراض الضرورة الوظيفية للعنصر والقول بعدم امكانية الاستغناء عنه.

لقد جاءت تعديلات ميرتون لهذه الافتراضات في ثلاث مجموعات من المفاهيم هي:

المجموعة الأولى وطرح فيها مفاهيم الوظيفي واللاوظيفي

المجموعة الثانية تناول فيها الوظائف الظاهرة مقابل الوظائف الكامنة

المجموعة الثالثة مقابل الافتراض قديما بأن لكل عنصر أو بناء ضرورة وظيفية لا يمكن الاستغناء عنها. **(عثمان، 2008، صفحة 64)**

ظهرت فكرة البدائل الوظيفية عند كثير من رواد البنائية الوظيفية المعاصرة، إلاّ أنّنا نلاحظ ان اسهامات ميرتون تتميز عن غيرها من الرواد بما فيهم بارسونز، لاسيما أنه حرص على تطوير وتحديد نظرية بارسونز وغيرها من النظريات الوظيفية الفرعية، وهذا ما يظهر في تحليلات ميرسون حول البدائل الوظيفية سواء لفكرة النسق أو الفعل أو التوازن أو التكامل أو غيرها من الأفكار.

ويقصد بمفهوم البدائل الوظيفية عدم التسليم المطلق بفكرة الوظيفية التي قد تظهر في بناءات وانساق اجتماعية في المجتمع الأمريكي، ورأى من الضروري معرفة مجموعة الوظائف الظاهرة والكامنة التي ينطوي عليها هذا النسق، من ناحية أخرى طرح النظريات متوسطة المدى، كمحاولة لوضع نظرية وظيفية بديلة للنظرية الكبرى ذات الصفة الشمولية العامة، أو النظريات الصغرى.

أيضا حرص ميرتون على طرح عدد من الأنماط الوظيفية والتي تجسدت في تصورات لأنماط التكيّف الوظيفي كما جاء في أنماط الامتثال، والانماط الأربعة الأخرى للانحراف التي تعكس مجموعة المعوقات الوظيفية، سعى ميرتون لتحليل المعوقات الوظيفية ليكشف بوضوح عن وجود الكثير من مظاهر الخلل الوظيفي وهذا ما أشار إليه عند تناوله مظاهر التفرقة العنصرية.

2- تيركيان والتغير الاجتماعي المنظم:

يعتبر من أبرز علماء مدرسة جامعة هارفارد ويعتبر من زملاء ميرتون وبارسونز وسروكين، تركزت أعماله في محاولته لتطبيق منهج الاثنوميتودولوجي والمنهج الفينومينولوجي في دراساته ، خاصة في النظرية البنائية الوظيفية والعلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى والمذهب الفلسفي الوجودي، وله عدة مؤلفات من أهمها النزعة السوسيولوجية وعلم الاجتماع الذي نشر عام1992 ، وتتمثل أهم أعماله في:

قضايا البنائية الوظيفية المعاصرة : سعى تيركيان لوضع النظرية البنائية الوظيفية المعاصرة في إطار جديد ومتميز بصورة نسبية عن التحليلات الوظيفية التقليدية أو المعاصرة عند كل بارسونز وميرتون وغيرهم من الرواد، بهدف جعل هذه النظرية قادرة على دراسة النظام الاجتماعي وضمان حدود عمليات التغير المنظم عن طريق تبني عدد من النماذج التحليلية المتطورة الموجودة في علم الاجتماع والموجودة في العلوم الأخرى خاصة العلوم الرياضية. حدد تيركيان قضايا نظريه البنائية الوظيفية كما يلي:

اهتم بدراسة وتفسير البناءات الاجتماعية عن طريق تبني المنظور الفينومينولوجي الذي يعتبر تلك البناءات ظواهر معيارية ويعكس الوعي الذاتي الداخلي.

تتميز الظواهر الاجتماعية باعتبارها ظواهر ديناميكية ووقائع حقيقيه في بناء اجتماعي يقبل عمليات التحول والتغير وليس جامدا أو استاتيكيا.

يعكس التنظيم الاجتماعي عددا من الأسس أو البدائل التي تصبح واضحة وتظهر باستمرار داخل مكونات البناء الاجتماعي.

تنقسم مجموعة البدائل التي توجد في البناء الاجتماعي الى مجالين : مجال العناصر المقدسة أي الدينية ومجال العناصر العلمانية، وعملية التوازن بين المجالين تعكس أسس النظام الاجتماعي ووجوده واستمراريته.

تعتبر الثقافة على المستوى العام مجموعة الرموز المتكاملة والتي تتأثر بصورة مستمرة بعمليات البناء والهدم وتقوم بدورها في عمليات التغير في المجتمع.

أنماط التغيّر الاجتماعي المنظم: حاول تيركيان أن يوجه المنهج التحليلي الوظيفي لتطبيق نماذج جديدة في التحليل بتركيزه على ضرورة استخدام المنهج الفينومينولوجي بالإضافة إلى ذلك سعى الى تبني مناهج أخرى مثل منهج الاستقراء التاريخي الذي من خلاله يمكن فهم التغير الاجتماعي المنظم الذي حدث عبر العصور التاريخية.

3- بكلي والأنساق الاجتماعية المعقدة:

هو أحد علماء البنائية الوظيفية جاءت تحليلاته مركزة حول علاقة نظرية علم الاجتماع بقضيه الحراك الاجتماعي، ويعتبر كتابه علم الاجتماع ونظرية الأنساق الاجتماعية أهم الاسهامات السوسيولوجية التي سعت إلى تطوير النظرية البنائية الوظيفية من حيث الافتراضات والمسلمات، ومن حيث المنهج الذي يستخدم في دراستها وتحليلها، وأهم استهاماته ما يلي:

النظرية الاجتماعية ودراسة الأنساق الاجتماعية:

حاول أن يطرح إطارا تصوريا ديناميكيا لدراسة مجموعة الحقائق الاجتماعية التي توجد في المجتمع الحديث عن طريق الاستفادة من مدخل السبرنطاقية أو ما يعرف بمدخل الضبط.

تصور امكانية اهتمام مدخل الأنساق بالعمليات والبناءات الاجتماعية العامة لأنها تحتوي على كم كبير من المعلومات المرتجعة، واعتبار التنظيم الاجتماعي ما هو إلا حالة مؤقتة تعتمد أساسا على نوعية المعلومات المرتجعة وعمليه اتخاذ القرار خلال فترة زمنية محددة.

قسم المجتمع الى عنصرين أساسيين هما البناء والعملية كما يتكون البناء من نسقين نسق نفسي ونسق سوسيو ثقافي، والنسق الأول أي النفسي يتضمن أربعة عناصر هي الفرد البيولوجي، موضوعات البيئة ذات المصلحة الفردية، الفرد الآخر، الاتصالات وتبادل المعلومات.

أما النسق السوسيوثقافي فيهدف أساسا للوصول إلى أعلى مستويات الاستقرار والمرونة والتكيف مع بيئة النسق وهو يستلزم مجموعة من العناصر هي: معرفة مصادر التباين داخل

النسق، المحافظة على المستوى الاقصى لخفض معدلات التوتر داخل النسق، وجود شبكة اتصالات لتحقيق الأهداف العامة، نسق اتخاذ القرار، وجود أساليب خاصة لنشر المعاني وأنساق الرمز.

يرى بكلي أن تكوين العملية داخل الأنساق الاجتماعية تتم عن طريق الانفتاح وتبادل المعلومات والمعلومات المرتدة من أجل تجديد الشكل العام للنسق أو تغييره أو حدوث العمليات والتوافق والتكيّف على المستوى الثقافي والاجتماعي.

تناول بكلي أيضا تحليل عدد من العمليات الوظيفية داخل الأنساق منها عملية التفاوض.

نموذج الأنساق الاجتماعية:

توضح تصورات بكلي للنظرية السوسيولوجية ودراستها مدى اهتمامه بتحليل التنظيم الاجتماعي على المستويين النفسي والثقافي الاجتماعي، كما سعى بكلي لطرح نموذج عن الأنساق الاجتماعية والذي يعتمد كليه على تبادل المعلومات بين الأنساق الاجتماعية والثقافية والنفسية من جهة، وبيئتها التي تتأثر بعمليات الثبات وتغير في النظام العام من جهة أخرى.

تعتبر نظرية بكلي مختلفة عن مثيلاتها من النظريات الوظيفية ولا سيما نظريه بارسونز عن الأنساق، وإلى أي حد يمكن أن تسمى مداخل السبرنطيقا ونظم المعلومات المرتدة من تطور النظرية البنائية الوظيفية المعاصرة، وتجعل علم الاجتماع ونظرياته أكثر ديناميكية.

4- سملسر ومتطلبات التحديث الوظيفي:

يعتبر أحد رواد البنائية الوظيفية المعاصرين الذين اصطبغت تحليلاتهم بالتركيز على تطور وتحديث نظرية الأنساق الاجتماعية، بمعالجة تحليلات مجموعة كبيرة من رواد الوظيفية من بارسونز حتى تحليلات بكلي وتركيان وغيرهم، وتكمن أهمية اسهاماته أن معظمها ظهرت مشتركة مع كتابات بارسونز والتي نشرت في كتابهما المشترك عن الاقتصاد والمجتمع خلال فتره عملهما سويا في جامعة هارفارد.

ويعتبر سملسر أهم رواد هذا المجال في الوقت الحاضر ونشر كتابه سوسيولوجيا الحياة الاقتصادية، وجاءت دراساته تركز على النسق التعليمي لا سيما عن الجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم مع علماء اجتماع أمريكيين من أمثال الموند جبريل وذلك في إطار تحليلاتهم للأنساق المعرفية التي تأثرت بتحليلاته عن الأنساق الاجتماعية.

اهتم سملسر بموضوع الاجماع في دراسة مشكلة التغير الاجتماعي، وقد طرح عدة اقتراحات هي:

- ضرورة تحليل عمليات التوافق التي حدثت بالمجتمع خلال الفترة المذكورة ومقارنتها بالفترات السابقة.
- ظهور مجموعة من الظروف التي أدت إلى ضعف إنتاجية البناء الصناعي أدت الى عدم

إمكانية تحقيق التطور أو التغير عام 1840 وحدوث العديد من مظاهر التباين والاختلاف في البناء الوظيفي.

- نتيجة لحدوث عمليات التغير حدثت الكثير من العمليات الناتجة عنها في البناء الاجتماعي ذاته مثل الأسرة التي أصبحت عاجزة عن أداء وظائفها بصورة كافيه نتيجة للتغيرات الاقتصادية.
- أن عملية التغير المتتابع يؤدي إلى نمو التباين أو الاختلاف البنائي نظرا لظهور عدد من النظم والمؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل النقابات العمالية وغيرها.

- نتيجة لظهور على هذه النظم والمؤسسات أصبحت من التنظيمات أو الأنساق التي تقوم بدور وسيط بين الأسرة والاقتصاد.

- جاءت اسهامات سملسر بصورة أساسية في كتاباته المتميزة في علم الاجتماع الاقتصادي والتي بدأها مع رائد الوظيفية بارسونز فقد أعطى دورا بنائيا وظيفيا للنسق الاجتماعي أو ما اسماه بالعوامل الاقتصادية التي تؤثر بصورة تبادلية مع العوامل الاجتماعية.

5- ايتيزيوني وأنساق الضبط والتوجيه:

جاءت اهتماماته في البنائية الوظيفية المعاصرة إضافة جديدة وتحديث هذه النظرية عن طريق تبني العديد من المداخل البحثية النظرية والمنهجية، خاصة ما يعرف بالمدخل التنظيمي الذي يعتمد على اسهامات علم الاجتماع وفروعه المختلفة، خاصة علم اجتماع التنظيم ومحاولته الاستفادة أيضا من المناهج العلمية الطبيعية ذات التحليل الكمي، أو ما يعرف بمداخل الضبط والتحكيم(السبرنطيقي) التي تنتمي إلى الكثير من العلوم الطبيعية والاجتماعية.

أيضا تكمن أهمية تحليلاته نظرا لتنوعها في العديد من الفروع السوسيولوجية المتخصصة وهذا ما ظهر في كتابه عن التحليل المقارن للتنظيمات المعقدة عام1967 ، وكتابه عن التوحيد السياسي الذي نشر عام 1965 ومؤلفه عن المجتمع الفعال 1968 هذا الأخير يعتبر أهم مؤلفاته النظرية بالإضافة الى اهتمامات أخرى حول التغير الاجتماعي وعمليات التنبؤ التي من خلالها يسعى لتقديم رؤى تحليليه وظيفيه، محاولا تحديث النظرية السوسيولوجية عامة والبنائية الوظيفية خاصة.

بالإضافة الى اهتمامات اتزيوني بالمدخل التنظيمي في دراسة الأنساق الاجتماعية وتحديد النظرية البنائية الوظيفية إلا أن اهتماماته كانت أكثر طموحا من خلال محاولته لوضع إطار جديد لهذه النظرية، تعتمد أساسا على ما يعرف بعلم اجتماع الوحدات الكبرى، الذي يركز على دراسة الخصائص العامة والشاملة لهذه الوحدات ومعرفة العوامل التي تسهم في تحقيق اهدافها الاجتماعية عن طريق الضبط والتوجيه الاجتماعي.

حاول اتزيوني أن يقوم بعملية تصنيف لكل من الوحدات أو الظواهر الكبرى التي توجد في العصر الحديث حيث صنّف الظواهر إلى وحدات صغرى ووحدات كبرى، كما يمكن تصنيف البناء إلى مجتمعات كبيرة شاملة ومجتمعات فرعية هذا بالإضافة إلى إمكانية تقسيم العلاقات داخل النسق الاجتماعي إلى ثلاثة أنواع هي:

المواقف وتشمل العلاقات المتبادلة بين الوحدات.

الأنساق وهي مجموعة عمليات التساند والتفاعل بين الوحدات.

المجتمعات المحلية وتشير إلى الوحدات المتكاملة.

حاول اتيزيوني أن يطرح نموذج للمجتمع الفعّال كمحاولة منه لتقديم صورة حديثة ذات طابع تنبؤي للمجتمع الحديث في المرحلة الحاضرة والمستقبلية، والذي رأى بأنه يقوم على عاملين أساسيين هما: الضبط والقدرة على تكوين وتوافق الآراء والاجماع.

كما اقترح اتيزيوني أربعة أنماط من هذه المجتمعات وفقا لوضعه أو موقفه بين طرفي أو معدل الضبط ومعدل القدرة على تكوين اجماع الآراء وهم:

- المجتمع الفعال نسبيا، ويتميز بارتفاع معدل الاجماع والضبط.
- مجتمع هائم، ويتميز بانخفاض معدل الضبط وارتفاع معدل الاجماع.
- مجتمع تديره قوه عليا، ويتميز بارتفاع معدل الضبط وانخفاض معدل الاجماع.
- مجتمع سلبي ويتميز بانخفاض معدل كل من الضبط والاجماع. **(الرحمن، 2006، الصفحات 46-71)**

الانتقادات الموجهة للنظرية البنائية الوظيفية:

بالرغم من القيمة العلمية التي استبغت بها النظرية البنائية الوظيفية إلّا أنها تعرضت لنقد شديد كما يلي:

- الصعوبة والتعقيد : يرى معظم النقاد أمثال تيماشيف وجون راكس ورايت ميلز وغيرهم
- أن معظم كتابات البنائية الوظيفية جاءت بأسلوب بالغ التعقيب مثل تعقيد بعض المفاهيم كالبناء والوظيفية والقيم وغيرها.
- التركيز على الطابع الاستاتيكي وإهمال الصراع.
- صعوبة التوصل إلى نظرية عامة : يرى كثير من نقاد النظرية البنائية الوظيفية أن روادها اخفقوا في وضع نظرية سوسيولوجية متكاملة وموحدة رغم محاولة البعض منهم طرح أفكار عن وجود نظرية كبرى كما حاول بارسونز في نظريته عن الأنساق الاجتماعية أو محاولة ميرتون في نظريته المتوسطة المدى.

- ضعف البدائل الوظيفية أو المداخل التحليلية البحثية: حيث جاءت معظمها بصورة مجردة ومعقدة ممّا أضفى على البنائية الوظيفية الكثير من التشكيك في قدراتها التحليلية المنهجية، مثل المدخل التنظيمي الذاتي أو مدخل السبرنطيقي(الضبط والتحكم) أو المدخل الفينومنولوجي وغيرها.
- التحيز الايديولوجي : جاءت البنائية الوظيفية عامة والوظيفية المعاصرة خاصة رأسمالية إيديولوجية، حيث ركزت على دراسة كل من المجتمع الرأسمالي والرأسمالية.

المحاضرة 10: النظرية الماركسية المحدثة

أولا: الجذور الفكرية للنظرية الماركسية المحدثة

- تعتبر النظرية الماركسية المحدثة حلقة اتصال فكري بين النظريات الكلاسيكية والنظريات المعاصرة، وترجع جذورها إلى إسهامات الماركسية التقليدية، ومحاولاتها تحديث أفكارها وافتراضاتها التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للظواهر الاجتماعية، كما جاءت أفكار الماركسية المحدثة متأثرة بالنظريات الراديكالية النقدية التي بدأت منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، لاسيما مدرسة فرانكفورت.
- جاءت معظم تحليلات أنصار الماركسية المحدثة مرتبطة بالتغيرات التي حدثت في المجتمع الأمريكي، خاصة خلال الفترة بين الخمسينيات حتى بداية السبعينيات من القرن الماضي، حيث لم تعد التفسيرات البنائية الوظيفية والنظريات الماركسية التقليدية قادرة على تقديم مبررات واقعية لطبيعة التغيرات سواء في الولايات المتحدة أو المجتمعات الأوروبية.

- ظهور مجموعة من العلماء الشبان الغربيين المنبهرين بالماركسية التقليدية، لاسيما تركيزهم على الصراع لكن نظروا إليه كاداة للتغير والتحديث.
- رأى أنصار الماركسية المحدثة إمكانية أن يقوم علم الاجتماع ويطور ذاته عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغير، وأن يخرج عن القيود البنائية الوظيفية الغربية، التي ارتبطت بالأيديولوجية الرأسمالية.
- ركز أنصار الماركسية المحدثة على الجمع بين الماركسية التقليدية والبنائية الوظيفية أي بين الصراع والتوازن النسقي، حتى سموا بالاتجاه التوفيقي.
- جاءت النظرية الماركسية المحدثة كرد فعل لإخفاق كل من النظرية البنائية الوظيفية والماركسية، في تفسير الواقع المتغير في المجتمعات الحديثة.
- حرص أنصار الماركسية المحدثة على ضرورة النظر الى الصراع باعتباره المدخل الأساسي الذي يفهم من خلاله طبيعة التغيرات والمشاكل الاجتماعية. **(الرحمن، 2006، صفحة 81)**

ثانيا: أهم منظري الماركسية المحدثة

1- لوكاتش: يعتبر جورج لوكاتش واحدا من أكثر منظري الماركسية أهمية في فترة ما بعد1917 ، تضمنت أعماله العديد من الدراسات في الأدب وعلم الجمال والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع، تحول لوكاتش الى الماركسية إبان الحرب العالمية الأولى، وقد عرفت كتاباته التي نشرها بعد الحرب بأنها تعبر عن نظرة معادية للوضعية.

وفي 1915 انضم إلى جماعة المثقفين الألمان، وانشغل بمشاكل الديمقراطية والثقافة، ثم التحق بعضوية الحزب الشيوعي الألماني، وشرع في كتابة سلسلة من المقالات في الماركسية والفكر البرجوازي الحديث، ونشر كتابه المشهور التاريخ والوعي الطبقي، موجها بصفة أساسية ضد الوضعية التطورية، التي سيطرت على ماركسية التحالف الشيوعي الثاني، وعلى وجه الخصوص نقدا صريحا لإسهام انجلز للماركسية.

2- جرامشي: وصف انطونيو جرامشي بأنه من أكثر منظري الماركسية أصالة في النصف الأول من القرن العشرين، تميزت أعماله بخاصية الاهتمام بمشكلات الثقافة وعلاقة التكوينات الثقافية بالسيطرة السياسية، والماركسية في تعارضها مع الوضعية وكل أشكال الحتمية الاقتصادية، مؤكدا الدور الذي يلعبه الوعي والذات الإنسانية في صنع التغير التاريخي.

تمثل الماركسية في نظر جرامشي شكلا من أشكال التاريخية المطلقة، فكل أشكال الفكر والسلوك تعبر عن عملية تاريخية عملية. **(السيد، 2005، الصفحات 252-257)**

3- لويس كوزر: يعتبر كوزر من بين أهم أصحاب منظور الصراع الحديث، وقد تأثر

بالكتابات المبكرة حول الصراع في كتابات جورج زيمل، وتتضمن نظرية كوزر عناصر كل من المنظور الوظيفي ومنظور الصراع في كتابه وظائف الصراع الاجتماعي، الذي عالج فيه الصراع على اعتبار أنه جانب من جوانب الحياة، كما قام بدراسة كل من وظائف الصراع أو الخلل الوظيفي الناجم عن الصراع. **(الزيات، د ت، صفحة 111)**

4- ديفيد لوكود ونقد نظرية النسق: إذا كان كوزر قد اهتم بوظائف الصراع دون أن

ينتقد نظرية النسق، فإنّ لوكود قدّم رؤية في الصراع قائمة على نقد نظرية النسق الاجتماعي، ذهب لوكود الى أن اهتمام بارسونز بمشكلة النظام العام في المجتمع قد دفعه إلى أن يقيم نظرية في النسق الاجتماعي على أساس وجود معايير عامة قد أهملت مجموعة المصالح المتصارعة، التي تشكل ما أطلق عليه لوكود الراق التحتي للفعل الاجتماعي أو النسق الاجتماعي، وتحليلها بطريقة مستقلة عن البناء المعياري.

لقد تأثّر لوكود بماركس في فكرته عن المصالح المتصارعة، كما تكشف آراء لوكود عن محاولة لتفادي الأخطاء التي وقعت فيها نظرية النسق، والتي من أهمها التركيز على النظام العام، ووسيلته إلى ذلك هي الخروج عن دائرة هذا النظام بالبحث عن أساس آخر للعلاقات الاجتماعية، وجده في عالم المصالح المتصارعة والقوة.

5- رالف دارندوف والحتمية السياسية: انطلق رالف دارندروف في دراسته للصراع من

نقد مرير للوظيفية ولنظرية النسق والتوازن، بل انطلق من نقد لقضية كوزر التي يفسر في ضوئها الصراع وظيفيا داخل النسق، وإذا كان ذلك يكسب آراء دارندروف أهمية خاصة داخل هذا الاتجاه فإن هناك سببا آخر يضيف مزيدا من الأهمية لآرائه، وهو أن نظريته انطلقت من منظور ماركسي مؤداه أن الصراع كامن في كل النظم وهو مصدر التغير في هذه النظم، ولكنّه اتخذ مثالا غير ماركسي حين استبدل علاقات الانتاج في المفهوم الماركسي بعلاقات السلطة. **(زايد، 2006، الصفحات 156-262)**

6- باركن والقيم والصراع في المجتمعات الحديثة: جاءت آراء كل من لوكود وجولد ثروب

وداهرندروف وكوزر وغيرهم لتعكس بوضوح مدى اهتمام أنصار الماركسية المحدثة بفكرة وعلاقاتها بالطبقات والأنساق الاجتماعية، التي تتميز بصورة كبيرة عن نوعية البناءات المجتمعية التي كانت موجودة خلال النصف الأول من القرن 20 وخلال القرن 19.

وهذا ما يتضح أيضا في تحليل إسهامات فرانك براكن الذي حاول أن يربط بين متغيري الصراع والقيم، وطبيعة العلاقة المتبادلة بينهما في المجتمعات الحديثة، في إطار تقديم رؤى ماركسية محدثة أكثر واقعية، مع اتخاذها للعديد من الأفكار والآراء البنائية الوظيفية والماركسية التقليدية نقطة انطلاق أساسية بها.

7- كلنز والمدخل التحليلي للصراع: يعتبر راندل كولنز من أهم رواد الماركسية المحدثة وأكثرهم نشاطا في تطوير الاهتمام بمنظور الصراع، كونه مدخلا تحليليا هاما اهتم به الكثير من علماء الاجتماع الأمريكيين، لقد لاحظ منذ اهتماماته الأولى بأن استخدام منظور الصراع جاء بعد تحديث المنظور الماركسي التقليدي على أيدي مجموعة من العلماء الألمان، مؤسسوا مدرسة فرانكفورت، والعديد من علماء الاجتماع اليساريين، الذين انشغلوا جميعا بمنظور الصراع واعتباره مصدرا للتغير الاجتماعي.

وهذا ما جعل تحليلات كولنز تكتسب سمعة علمية كبرى نتيجة لمحاولته استقطاب العلماء السوسيولوجيين الشباب خاصة الاهتمام بمدخل الصراع، ومحاولة حثهم للاستفادة من هذا المدخل في التحليلات النظرية والامبريقية معا، كما تكمن أهمية تحليلات كولنز من خلال الخلفية الأكاديمية والمهنية التي حصل عليها من عدد من الجامعات الأمريكية.

(الرحمن، 2006، الصفحات 106-110)

8- لويس الثوسير: رفض الثوسير الأوجه الإيديولوجية للتراث الماركسي ولم يقبل النظر إلى التاريخ كقصة للجهود الإنسانية في التحرر، حيث لم يكن متقبلا لدور الأفراد وإرادتهم ومن ثمّ رافضا للإنسانية والذاتية، سواء في الفكر الاشتراكي أو البرجوازي الرأسمالي، ولهذا كرّس جهده لقراءة الفكر الماركسي والبرهنة على أنه وحده يمثل نظرية علمية للمجتمع وتطوره.
كان هدف ألثوسير أن يعيد للماركسية كنظرية علمية معانيها الحقيقية كما تجلّت في كتاب رأس المال لماركس، واختار لتحقيق هدفه الدخول في حوار الناقد مع من أساء فهم الماركسية وتفسيرها، وخاصة من أخذوا بالحتمية الاقتصادية.

9- ألن تورين: حاول تورين وخاصة في كتابه الشهير إنتاج المجتمع تناول التنظيمات الاجتماعية من منظور تاريخي، وجود التناقض في هذه التنظيمات وبينها، الأمر الذي يجعل عملية الصراع المنطلق الأساس في تحليل المجتمعات وتطوّرها، ويشمل هذا جميع أنواع المجتمعات.
وجعل من تباين اللامساواة في ملكية القوة أساس عملية الصراع، حيث ينقسم المجتمع على هذا الأساس إلى مسيطرين وخاضعين، إلى مالكي القوة وغير مالكين، ولم ينكر أهمية اللامساواة في الملكية كأساس ثاني للصراع.

10- بيير بورديو: كان همّه الأول محاولة ردم الهوة بين الذاتي والموضوعي وحل مشكلة الموضوعية والذاتية، وعلاقة الفرد بالجماعة من خلال ثلاثة مفاهيم أساسية هي الهابيتوس، والمجال ورأس المال.

إن بورديو في محاولته حل إشكالية الثنائيات خاصة بين الذاتي والموضوعي، والوضعية والمثالية، والفرد والجماعة، قد طرح مفاهيم تربط بين هذه الجوانب معتمدا على دراسات امبريقية، دون ادعاء تطوير نسق نظري جامد كامل.

وقد أكّد صفة النسبية والتغيّر في القوانين حيث كل قانون مرتبط بوعي محدد تتبدل حقيقته بتغير الوعي، وبهذا يعطي الوعي دورا هاما، مع أنها تشكله وتطوره مرتبط بالظروف الموضوعية، ويقول بأن أزمة علم الاجتماع ناتجة عن نظريات دون ركيزة امبريقية، أو أعمال امبريقية دون توجيهات نظرية.

11- **نيوكوس بولنتزاس:** اهتم بالدولة والطبقة واعتمد في تحليله على مفاهيم أساسية ثلاثة هي الدولة والايديولوجيا والاقتصاد، معتمدا في تناولها أو في علاقاتها على الواقع الامبريقي.

يفترض بولنتزاس استقلالا نسبيا في العلاقة بين هذه المفاهيم إذ هناك درجة من الفصل في الدولة الرأسمالية بين السياسة والاقتصاد، كما يفترض استقلالية نسبية للدولة عن الطبقة الاقتصادية المسيطرة، رغم هذه العلاقة النسبية والاستقلال النسبي لكل من الدولة والاقتصاد والايديولوجيا إلاّ أنها في الوقت نفسه ترتبط بمستوى من العلاقات.

ثالثا: تقييم النظرية الماركسية المحدثة

من خلال ما تقدم من محاولات تجديد الماركسية يلاحظ أنها ركّزت على ما يلي:

- نقد الحتمية الاقتصادية التي ظهرت في كتابات بعض الماركسيين.
- محاولة إعادة العلاقة الجدلية بين أوجه المستوى التحتي والفوقي.
- محاولة الخروج عن افتراض الحقيقة الموضوعية لما هو اجتماعي وادخال البعد الذاتي، ومحاولة التوفيق بين الجانبين.
- محاولة تجاوز العلاقة الأحادية بين البناء والفعل والجماعة والفرد، بالقول بأنها علاقة تبادلية جدلية.
- يرتبط بهذه المحاولات ما جاء به أصحاب مدرسة فرانكفورت. **(عثمان، 2008، الصفحات 161-177)**
- لم تستطع الماركسية المحدثة الاستفادة الكاملة من الإطار المرجعي أو التصوري أو فهمه بصورة واقعية، وظلّت تدور في فلك الوظيفية تارة، والماركسية التقليدية تارة أخرى، حتى أنه يمكن اعتبارها فرعا من البنائية الوظيفية.
- جاءت رؤية الكثير من رواد الماركسية المحدثة بعيدة تماما عن الكثير من الخصائص الواقعية، كما تم تفسير العديد من المفهومات الوظيفية والماركسية التقليدية بصورة معكوسة أو بشكل صوري وسطحي.

- اعتمدت النظرية الماركسية المحدثة كثيرا على آراء وأفكار البنائية الوظيفية من ناحية والماركسية التقليدية من ناحية أخرى، كما جعلت محور تفكيرها مركزا على تفنيدها لكل من النظريتين فقط دون طرح إطار نظري أو تصوري مرجعي لهما.
- يلاحظ أن تحليلات أنصار هذه النظرية عزلت الصراع واعتبرته نتاجا للظروف الواقعية والمجتمعية دون وصف وتحليل هذه الظروف التي يمكن من خلالها فهم الصراع كأداة للتغير والتطور.
- مجمل هذه الانتقادات تؤكد أن الماركسية المحدثة ورؤيتها للصراع ما هي إلا إحدى نظريات الفعل، أو نظريات امتزجت بأفكار بارسونز وفيبر ودور كايم وماركس، وهذا ما جعلها تتبنى أبعادا متعددة عند استخدامها لدراسة الصراع البناءات الاجتماعية الحديثة، لذلك فالنظرية الماركسية المحدثة لا تخرج بعيدا عن نطاق التميّز الايديولوجي الذي انتقدت به البنائية الوظيفية. **(الرحمن، 2006، صفحة 118)**

المحاضرة 11: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت Frank furt School

1- الجذور الفكرية والإيديولوجية للنظرية النقدية:

- العودة إلى الفكر المثالي حيث جاءت أفكار رواد مدرسة فرانكفورت لتعيد دراسة النظرية الماركسية وما تبنته من أفكار، خاصة تصورات هيجل المثالية والنظرية التشاؤمية عند شوبنهاور.

- لم توطد النظرية النقدية علاقتها فالفكر المركزي بل سعت إلى تحليل الأسس والقواعد العامة التي انطلق منها هذا الفكر، ما جعل رواد مدرسة فرانكفورت ينظرون إلى الماركسية على أنها امتداد عصر التنوير، وانتقدتها في عدد من القضايا منها تصوراتها المادية للمعرفة وترفض أولويتها للوعي، كما ترى الماركسية إمكانية إدراك الحقيقة من خلال الممارسة والجهد المادي، لكن تؤكد النظرية النقدية على وجود موقف تأملي خالص في مواجهة الحقيقة.

أيضا تؤكد الماركسية على أن التحول من الرأسمالية للاشتراكية لا يمكن إلا بوجود طبقة البروليتاريا الثورية، التي تستطيع أن تدير النظام السياسي والمادي للرأسمالية مع ضرورة المحافظة على وسائل الإنتاج باعتبارها عنصر التطور والتغير، بينما ترى النظرية النقدية أن الشر الحقيقي يكمن في التنظيم أو الجهاز التكنولوجي باعتباره أحد وسائل القهر الذي يستخدم

سلبيا لتدمير الحضارة والعلم، كما رأت الماركسية أن الثورة هي وسيلة التحرير أما النقدية فتؤكد على أن العقل هو وسيلة التحرير.

- انتقدت النظرية النقدية أيضا النظرية الوضعية أو البنائية الوظيفية الكلاسيكية التي ظهرت قبل نشأتها أو التي عاصرتها، ومن هذه الانتقادات أن هذه الأخيرة جاءت لدراسة المجتمع من منظور بسيط وجزئي دون إدراك الرؤى الشمولية الطبيعية للمجتمع وهذا ما تبنته النقدية.

كما أكدت النظرية النقدية على أهمية عدم الفصل بين العلم والفن ودراسة المجتمع القائم على التأمل، وهذا ما أغفلته النظريات الوضعية أو الوظيفية، كما تجنبت علم النفس في دراسة الظواهر الاجتماعية لكن النظرية النقدية اهتمت بالجانب السيكولوجي، أيضا في النظريات الوضعية الوظيفية العقل الأدائي ركز على عالم المظهر أما العقل الموضوعي للنظرية النقدية ركز على عالم الجوهر.

أكدت النظريات الوظيفية الوضعية على أن البشر مجرد أشياء لا حول لهم ولا قوة في مواجهة المجتمع، بينما تؤكد النظرية النقدية على أن العلاقة بين الفرد والمجتمع واعتبار كل منهما ذو طبيعة مستقلة وغير خاضعة للأخرى.

- خبرات الواقع المؤلم إد تعكس طبيعة الخبرة الواقعية والظروف الاجتماعية والسياسية لمعظم رواد النظرية النقدية جزءا كبيرا من مكونات هذه النظرية، وهذا ما جعلها تتبنى الاتجاه التشاؤمي في رؤيتها للحقائق والمشكلات الواقعية التي عصرها في العقود الأولى من القرن الماضي، فلقد عاصر معظم روادها الاعتقال الجماعي لليهود من قبل النازية الألمانية والإبادة لهم وتعرضهم للهجرة الجبرية والنفي السياسي والمشكلات التي تعرضوا لها في بلاد المهجر.

كما اهتمت كتابات رواد النظرية النقدية بدراسة طبيعة التحول الذي حدث في ألمانيا خلال حكم النازية وتغير الرأسمالية الألمانية من الرأسمالية الليبرالية إلى الرأسمالية الاحتكارية.

- إن الظروف السياسية الألمانية أثرت على اليهود وخاصة المثقفين منهم، لا سيما أن معظم رواد هذه المدرسة كانوا من اليهود الذين حاولوا تحويل هذه الوقائع الأليمة إلى وقائع تاريخية وفلسفية وإنسانية عامة، ويجسدون أن اليهود الشهداء الحقيقيين للبشرية في العصر الحديث أيضا سعت إلى الاستفادة من الخبرة المؤلمة والسعي لعدم تكرارها.**(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 425، 431)**

2- تعريف النظرية النقدية:

سميت النظرية بهذا الاسم لتركيز أصحابها أولا على نقد أوجه من المعرفة ومناهجها خاصة الوضعية منها ومن ضمنها الحتمية الاقتصادية، وثانيا لما واجهه أصحابها من نقد للمجتمعات الحديثة التي اتسمت بالهيمنة على الفرد اجتماعيا وثقافيا وبما تكون فيها من سلطات مركزية مهيمنة.

كما عرفت بمدرسة فرانكفورت التي نشأت عام 1923 كمعهد جامعي للأبحاث في جامعة فرانكفورت بقيادة جرونبرغ وتبلور التوجه المعرفي والمنهجي بشكل واضح عام 1930 بعد تولي ماكس هور كهايمر القيادة في 1924، حيث ضمت مجموعة من الباحثين في تخصصات مختلفة من أبرزهم أدرنو، وماركيوز أوفروم وهبرماس.

رغم وجود بعض الاختلافات البسيطة بين كتابات أعضاء المدرسة إلا أنها اتسمت بمواقفهم ضد الاستعمار والاستغلال العالمي والطبقي والاستبداد والهيمنة التكنوقراطية والبيروقراطية، والعمل على تحقيق حرية الرأي والتجمع وإنهاء مظاهر الاستغلال على مستوى المجتمع والعالم، وتعتبر إسهامات أعضائها النظرية والمنهجية محاولات لإعادة بناء النظرية الاجتماعية بالتركيز على مقاربة المفهوم للموضوع والنظرية بالواقع خاصة ما يتعلق بالمجتمعات الحديثة. **(إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص 181)**

3-مراحل تطور النظرية النقدية:

المرحلة الأولى (1921 - 1928): ترأس المجموعة كارل جرونبرج الذي كان مقتنعا بأن المجتمع الحديث يشهد تحولا من الرأسمالية إلى الاشتراكية، ومن ناحية المنهجية يؤكد على التفسير المادي للتاريخ، فالظواهر الاجتماعية ما هي إلا انعكاسات للحياة الاقتصادية كانت إدارية دكتاتورية، حيث يرى لا يمكن مشاركة الإدارة من الأشخاص ذو مداخل منهجية متباينة كما لم يهتم بالبعد السيكولوجي في التفسير، تميزت معالجة القضايا خلال هذه المرحلة بالطابع الإمبريقي وهو المفضل عند جرونبرج.

المرحلة الثانية (من 1920 إلى منتصف الثلاثينيات): تولى إدارة المعهد ماكس هوكايمر وقد اختلف عن سابقه فيما يتعلق بطبيعة الموضوعات التي ينبغي التصدي لها بالبحث والدراسة، ومن الناحية المنهجية فقد نفى الديكتاتورية المنهجية لجرونبرج مؤكدا أن المنهج ينبغي أن لا يكون الهيليجية الفجة التي ترى أن الروح هي أساس العلم والتاريخ، ولا الماركسية المتطرفة التي ترى أن النفس البشرية والقانون والفن والفلسفة ليست إلا مجرد انعكاس للاقتصاد، وأن المنهج الموصى به ينبغي أن يستوعب التفاعل الجدلي بين الحقيقة المادية والحقيقة العقلية، إضافة إلى مطالبته بالعودة إلى ما قبل التخصص في دراسة القضايا.

ومن أهم انجازات هذه المرحلة الاستعانة بوسائل البحث المتقدمة التي استعملت في أمريكا، ومن ملامح هذه النظرية بداية الانفصال عن النظرية الماركسية والتأكيد على المتغيرات الاقتصادية والسيكولوجية والثقافية. كذلك السعي إلى الالتقاء بعلم الاجتماع البرجوازي من خلال الاستفادة من مناهج البحث في أمريكا واستيعاب متغيرات غير الماركسية، كالمتغيرات الثقافية والنفسية والعمل على تأسيس بحث اجتماعي تشارك فيه أنساق معرفية متباينة.

المرحلة الثالثة (من منتصف الثلاثينات إلى 1949): وهي فترة المنفى أو المأساوية للمدرسة، حيث كانت الهجرة من ألمانيا إلى أمريكا في فترة النازية التي كرهت علم الاجتماع، باعتباره العلم الذي يكشف الخرافات الاجتماعية، وتم إلغاء البحث الإمبريقي بتوجيه سياسي،

وفي نهاية هذه المرحلة اتجهت جماعة المدرسة النقدية اتجاهات متنوعة في المنفى الأمر الذي اعتبره هربرت ماركيوز خيانة لمعتقدات الجماعة، ومن ملامح هذه المرحلة الانفصال التام عن النظرية الماركسية والتصدي للفاشية والنزعة المضادة للسامية والتحيز.

المرحلة الرابعة (من 1950 إلى نهاية الستينات): تميزت بعودة معظم مفكري الجماعة إلى ألمانيا، ومن ملامح هذه المرحلة ظهور مجموعة جديدة من التفاعلات الواقعية حيث ظهر اتجاه يركز على الثروة ووسائل الإنتاج الذي تزامن مع الوفرة التي تعيشها المجتمعات الرأسمالية، مما قطع الطريق أمام إمكانية قيام الثورة الاشتراكية، ومن ناحية أخرى الدور الذي لعبته البيروقراطية السوفياتية وحياة الرعب التي انتشرت في المرحلة الستالينية في الاتجاه السوفياتي، حيث هاجم هوركهايمر النزعة التسلطية التي بدأت تسود المجتمع.

أدى التوجه إلى حل مشكلات المجتمع إلى استهلاك طاقة الباحثين مما قلل من أعمالهم العقلية والنظرية، كما أدت سنوات الحكم النازية 12 سنة إلى خلق فجوة في الحياة الأكاديمية والانعزال عن التطورات العالمية، وافتقاد التراث الامبريقي واستمرار كراهية المسؤولين لعلم الاجتماع. **(زولتان تار، 2004، ص46، 53)**

4- أهم الاتجاهات النقدية:

رايت ميلز والخيال السوسيولوجي: تمّ تخصيص محاضرة لهذا العنصر

ألفن جولدنر والنقد السوسيولوجي:

يعتبر مؤلف ألفن جولدنر الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي من أهم المؤلفات السوسيولوجية التي ارتبطت بالنظرية النقدية المعاصرة خلال النصف الأخير من القرن العشرين، إذ تتسم أفكاره بالعمق التحليلي النقدي السوسيولوجي الذي أخذ الطابع التأملي والواقعي والبنائي في نفس الوقت، كما أنّ اسهامات جولدنر جاءت في فترة كان يعاني فيها علم الاجتماع أزمة شديدة، وهذا ما حرص جولدنر على إبرازه بصورة نقدية واقعية للعلم ذاته وكيفية ارتباط الأزمة السوسيولوجية بأزمة المجتمع الغربي ككل.

أهم أفكار جولدنر النقدية الأساسية:

أزمة علم الاجتماع الماركسي.

أزمة علم الاجتماع المحدث.

فكرة التكامل السوسيولوجي.

أزمة علم الاجتماع الماركسي: حاول جولدنر أن يوضّح العلاقة بين علم الاجتماع الماركسي والعلم الاجتماعي الأكاديمي، إذ يرى أن كليهما نبع من مصدر واحد وهو علم الاجتماع

الغربي، وحرص عند تحليله لعلم الاجتماع الماركسي على أن يبرز طبيعة الأزمة التي تواجه الماركسية السوفيتية بصورة خاصة.

والتي سعى لوصفها بأنها أزمة أيديولوجية سوفياتية حاولت أن تهيمن على علم الاجتماع الماركسي، ولم تعط فرصة للآراء أو الأفكار التي ظهرت في أوروبا الشرقية، كما حاول أن يناقش مشاكل الطبقة العمالية ودور الطبقة الوسطى الجديدة، وكيفية انفصال الملكية عن الإدارة، ومدى تحسين أوضاع طبقة البروليتاريا وغير ذلك التي أدّت الى تفاقم أزمة علم الاجتماع الماركسي.

إلّا أنه لم يعرض على الاطلاق كيفية معالجات الماركسيين أنفسهم للقضايا التي توجد في المجتمع السوفياتي أو حتى الحلول التي تصوروها بالفعل حول هذه المشكلات، لذلك يمكن القول بأن معالجات جولدنر لأزمة الماركسية والتقائها بعلم الاجتماع شأنها شأن معالجاته حول التقاء الوظيفية مع علم الاجتماع الغربي، وحرصه على تأكيد دور النزعات العلمية التي تبنّت المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية التطبيقية.

أزمة علم الاجتماع الحديث: بنى جولدنر تصوراته النقدية لعلم الاجتماع الحديث شاملا نقد كل من علم الاجتماع الماركسي وعلم الاجتماع الغربي، أو ما يمكن وصفه بعلم الاجتماع الأمريكي، محاولا أن ينتقد الأسس التي قام عليها هذا العلم عن طريق النزعة النقدية، التي اصبحت مطلبا ضروريا لكثير من أنصار الاتجاهات الراديكالية.

ولقد رأى جولدنر أن يقوم عالم الاجتماع بالمبادرات النقدية لإعادة تشكيل الفكر السوسيولوجي وبهذا يجب أن يعاد النظر فيه لأن طبيعة الحياة الاجتماعية متغيرة، فحرص على مناقشه القضايا والمسلمات العامة التي يقوم عليها علم الاجتماع الأكاديمي، وكذلك المنهجية التي يقف عليها علم الاجتماع الأمريكي التي تشكل جزء من أزمة علم الاجتماع الأكاديمي الحديث وهذا ما اهتم به في مناقشة الافتراضات التصورية التي يجب أن تسبق البحوث الامبريقية وغير الامبريقية.

في إطار اهتمامات جولدنر بأزمة علم الاجتماع حاول أن يبني كثيرا من تحليلاته على مناقشة النظرية العامة للبيروقراطية عند فيبر خاصة البيروقراطية الأكاديمية الحكومية، لكنّه لم ينتقد فيبر على معالجاته للبيروقراطية بل حاول أن يؤكد على أهمية الفكر والثقافة التي تؤثر على فرضيات ومسلمات عالم الاجتماع، وهذا ما حاوله جولدنر عندما قام بدراسة العلاقة بين المنهجية والنظرية والأيديولوجية والنسق الفكري والثقافي العام، الذي يشكل علم الاجتماع وآراء علماء في المجتمع الغربي، وسعى لمناقشة العلاقة بين الأيديولوجية والنظرية الوظيفية، والتطورات السوسيولوجية التي طرأت على نشأة علم الاجتماع الغربي الحديث خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والتي حدّدها بأربعة مراحل كبرى هي:

مرحلة الاتجاه الوضعي السوسيولوجي.

المرحلة الماركسية.

مرحلة علم الاجتماع الكلاسيكي.

مرحلة الاتجاه الوظيفي البنائي عند بارسونز.

فكره التأمل السوسيولوجي: جاءت تحليلات روّاد النظرية النقدية المعاصرة متسمة بالطابع النقدي لكن لم تأخذ الطابع التشاؤمي بقدر ما حاولت أن تطرح هذه التحليلات بعض البدائل التي يمكن الاهتمام بها لخروج علم الاجتماع من أزمته، وإن كانت هذه البدائل نوع من الخيال السوسيولوجي كما ظهر عند رايت ميلز أو ما يعرف بالتأمل السوسيولوجي، هذا الأخير يقصد به كيفية توزيع علماء الاجتماع المعاصرين بصورة موضوعية ونقدية للافتراضات والمسلمات العامة التي يقومون عليها بحوثهم الامبريقية وغير الامبريقية، وإلى كيفية تعميق ما أسماه جولدنر بالوعي الذاتي.

لقد حاول جولدنر أن يوضح بصورة سوسيولوجية نقدية كيفية تأسيس فكرة الوعي الذاتي لدى علماء الاجتماع عن طريق توضيح الافتراضات الأساسية التي تعتبر الموجه الاساسي لكل من النظرية والمنهج السوسيولوجي، كما يجب على الباحث ان يتأمل كتاباته وتحليلاته في إطار نظرية سوسيولوجية واضحة المعالم، لا سيما أنّ النظرية قادرة على توجيه البحوث لدراسة أنماط الحياة الاجتماعية في المجتمع الحديث.

ركس ونقد المجتمع:

ارتبطت التحليلات النقدية المعاصرة بإسهامات عالم الاجتماع البريطاني جون ركس، التي ظهرت أواخر الستينيات حتى الوقت الحاضر، وتمتد جذور النقد السوسيولوجي في كتابات ركس إلى اهتماماته الأولى حول النظرية السوسيولوجية ومحاولته إعادة توجيه علم الاجتماع وعلمائه نحو الاتجاه الصحيح الذي وضعوه من أجله، لاسيما أنّ مهمة هذا العلم تتبلور في دراسة الحياة الاجتماعية وتفسير السلوك البشري، وهذا ما جعله ينتقد المعالجات السوسيولوجية الامبريقية خاصة ذلك النوع الذي يعتمد على المناهج البحثية والإحصائية، والتي تسعى الى تحليل السلوك البشري عن طريق معادلات جامدة دون معرفة الأسباب الحقيقية التي ترتبط بهذا السلوك، ورأى بان هذا النوع يساهم في تعقيد أزمة علم الاجتماع.

كما جاءت كتابات ركس الأكثر حدة منتهجة المنهج النقدي عند ميلز وغيره والتي حاولت أن تركز على الدور الايجابي الذي يجب أن يقوم به عالم الاجتماع من أجل تطوير النظرية السوسيولوجية ، ويسهم في حل الأزمة المعاصرة لعلم الاجتماع عن طريق تبنيه لقيم البحث السوسيولوجي المتعارف عليها أكاديميا بين علماء الاجتماع، وأن لا يكون تحت هيمنة

وسيطرة رجال السياسة، وهذا ما جعل ركس ينتقد البحوث ذات التوجه السياسي لأنها تعيق حرية البحث العلمي الدقيق.

حرص ركس على أن تكون مهمة علم الاجتماع أن تكون ذات طابع نقدي للعوالم الثلاثة، العالم الأول يرمز إلى المجتمع الرأسمالي والثاني إلى المجتمع الشيوعي والثالث إلى العالم المتخلف، وحاول أن يوضح كيفية قيام علم الاجتماع النقدي بدراسة هذه المجتمعات والعوامل الثلاث لتحريرها بصورة أساسية من السيطرة الأيديولوجية وما يعانيه الفرد من هموم ومشكلات متعددة.

بوتومور وعلم الاجتماع النقدي:

جاءت اسهامات بوتمور متعددة ومتنوعة شملت الكثير من المجالات في علم الاجتماع سواء على مستوى النظرية السوسيولوجية او على مستوى المنهج والأساليب البحثية، او على مستوى تحليل ومناقشه علم الاجتماع ككل .كما جاءت آراء بوتومور في مرحلة ظهور الأزمة لعلم الاجتماع الأحداث التي عاصرها مما جعله يتناول الافكار السوسيولوجية من منظور نقدي، ويؤكد على ضرورة وجود علم اجتماع بريطاني جديد، أيضا جاءت اهتمامات بوتمور النقدية لتشمل إعادة تحليل كل من علم الاجتماع الماركسي وعلم الاجتماع الأكاديمي الغربي، كما ظهر في تحليلات كل من ميلز وركس.

لقد حرص بوتومور على التنوّع والتميّز في تحليلاته ونوعية القضايا والمشكلات التي عالجها كالمشكلات السياسية القديمة التي عاصرها في بريطانيا والدول الأوروبية والغربية خاصة، وجاءت اهتماماته حول مشكلات العالم الثالث وهذا ما تناوله بالفعل في مناقشاته حول الديمقراطية والطبقات الاجتماعية والحركات الاجتماعية والأحزاب السياسية، وأنماط التغير والصراع السياسي، وظهور ونشأة الأمم الجديدة .علاوة على اهتماماته حول السياسات العالمية وفكرة النظام العالمي الجديد وذلك من منظور نقدي.

جاءت أهم ملامح فكر بوتومور في أربعة أفكار رئيسية:

أزمة المنهج والنظرية السوسيولوجية.

نقد علم الاجتماع الماركسي.

نحو علم الاجتماع راديكالي.

التحليل النقدي للمشكلات السياسية المعاصرة. **(الرحمن ع.، 2006، الصفحات 295-310)**

5- رواد مدرسة فرانكفورت:

هوركايمر والنظرية النقدية:

إنّ آراء رواد النظرية النقدية جميعها اشتركت في طرح أسس هذه النظرية واعتمادها على البعد النقدي والتحليل الاجتماعي باعتباره الفكرة الرئيسية التي قامت عليها تصورات مدرسة فرانكفورت، وهذا ما ظهر في كتابات هوركايمر، وادورنو وماركيوز، على سبيل المثال، وجعلها تتميز عن الطابع التحليلي النقدي للنظريات التقليدية مثل الماركسية، وهذا ما تمثل في آراء هوركايمر عند توضيحه للفرق بين النظرية النقدية والماركسية.

حيث رأت النظرية النقدية أن تصور التاريخ باعتباره نتائج ضروري لآليات اقتصادية فقط يعتبر شيئا خاطئا، كما أن دراسة التطور والأحداث الاجتماعية كنتيجة آلية للبعد الاقتصادي المادي يعتبر تفسيرا بعيدا عن الصواب، لا سيما أن التطور والتغير نشأ نتيجة لقرارات اجتماعية وجمعية اتخذت بصورة حرة بعيدا عن الثورة أو النضال الثوري الذي اعتمدت عليه الماركسية كوسيلة للتغير والتطور.

كما يوضح هوركايمر ان الماركسية يعتقدون ان الطبقة العمالية سوف يعتمد عليها كاداه للتحول الجذري في المجتمع لكن الشواهد التاريخية التي ظهرت في ألمانيا خلال فترة هتلر وظهور النقابات الأمريكية الثورية والبيروقراطية السوفياتية، تعتبر شواهد واقعية تنفي تماما الرؤى الماركسية التقليدية، وهذا ما جعل الماركسية المحدثة تعيد تفكيرها الكلاسيكي، لأن كثيرا من دول العالم الحديث تبنت الماركسية بعيدا عن وجود الطبقة العمالية.

ومن هذا المنطلق نجد أن نظرة هوركايمر تؤكد على أهمية وضرورة التحالف الطبقات الاجتماعية بما فيها الرأسمالية مع طبقة العمال من أجل جعل هذا التحالف الاجتماعي هو المركز والواقع الحقيقي لعمليات التطور والتغير، واستحداثها قوة جديدة ديناميكية قوية ومنظمة تعتمد جميعا على قوة التطور والتقدم التكنولوجي الذي يجعل بالإمكان وجود تنظيم اجتماعي جديد للمجتمع الحديث.

طرح هوركايمر تمييزا بين نموذجين أساسيين للنظرية، النموذج الأول يتمثل في النظرية الوضعية التقليدية التي سعت إلى تبني المناهج الموجودة في العلوم الطبيعية وهي تمثل نمطا استنباطيا نظريا، والنموذج الثاني على النقيض من النموذج السابق إذ يركز على دراسة الانسان باعتباره وحده للتحليل والدراسة وصانعا لظروفه التاريخية وأسلوب معيشته الحياتية.

أدورنو والبحوث السوسيولوجية الامبريقية:

حرص بعض رواد النظرية النقدية على تطوير بحوث علم الاجتماع الميداني خاصة بعد عودتهم إلى المانيا مرة أخرى حيث عقدت جماعة فرانكفورت مؤتمرا علميا حول البحث الاجتماعي التجريبي عام 1951 برئاسة ليوبوند فييزة وادورنو، وحرص الأخير على انتقاد الأساليب البحثية التقليدية التي كان يقوم بها علماء الاجتماع الكلاسيكيين، لهذا السبب حاول أدورنو ان يقدم العديد من البراهين والشواهد على أهمية الأبحاث الميدانية التجريبية، والتي

سوف تعزز عموم نتائج بحوث علم الاجتماع وتطور أساليبه والاطار التصوري والفكري الذي يوجه هذه البحوث ويجعلها مرتبطة بالواقع.

كما حرص أدورنو على التأكيد المستمر على أهمية البحوث الميدانية حيث كان يوجد اعتقاد خاطئ في المانيا حول طبيعة البحوث الاجتماعية الميدانية التي تعتمد على الاحصاءات الكمية، واهمالها عمليات التغير الديناميكية والكيفية التي ترتبط بطبيعة الظواهر المدروسة.

تظهر إسهامات أدورنو في تطوير البحوث السوسيولوجية الامبريقية عن طريق محاولته للتمييز بين دراسة كل من الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية ونوعية المناهج التي يجب ان تستخدم في دراسة كل منها حيث أكد على ضرورة التمييز بينهما نظرا لتباين نوعية الموضوع أو الظاهرة المدروسة وبأن المناهج الطبيعية سوف تعجز في فهم المجتمع الذي يحتوي على كثير من التناقض والتعقيد.

ماركيوز والسياسة العقلانية:

تعددت كتابات هربرت ماركيوز أهم مؤلفات مدرسة فرانكفورت حيث جاءت تحليلات ماركيوز محاولة اختبار مجموعة النظريات الفكرية السابقة التي عاصرها في دراسة الواقع العام للمجتمع الصناعي، ممتزجة بآراء العديد من رواد هذه المدرسة.

كما تكمن أهمية كتابات ماركيوز بأنها جاءت في مرحلة تاريخية مميزة خاصة بعد أن انصرف عدد من رواد مدرسة فرانكفورت إلى الدراسات الأخرى السيكولوجية والميتافيزيقية، ولقد حاول ماركيوز أن يناقش القضايا التي طرحها في ضوء الرؤى الجديدة للنظرية النقدية وفلسفتها وفي فهم واقع الحياة العصرية مع النزعة أو الاتجاه البراجماتي الذي عاصره خلال وجوده في الولايات المتحدة.

حاول أن يركز على أهمية دور العقل في تطور المجتمعات البشرية الحديثة واكتشاف البدائل الفعلية للمجتمعات الغربية التي قيدت الحرية وكرست العديد من مظاهر إفساد قدرات وإمكانات العقل الانساني، ومن ثم تحرص النظرية النقدية على نقد النظام الاجتماعي والسياسي القائم واستيعاب طبيعة هذا الواقع ومتطلباته وذلك عن طريق الاعتماد على العقل والحرية كوسيلة لتحرير البشرية.

عموما تكشف آراء ماركيوز عن وجود ثلاثة عناصر أساسية تعكس آرائه السياسية والأيديولوجية ورؤيته للنظام الاجتماعي والسياسي الغربي:

- تخليه عن الدوري الاجتماعي والتاريخي للطبقة العاملة بالمفهوم الماركسي بسبب وضع هذه الطبقة الجديدة في المجتمعات الغربية، حيث استطاعت هذه المجتمعات احتواء هذه الطبقة الجديدة وجعلها تتخلى عن دورها التاريخي.

- ركّز ماركيوز في تحليلاته على أن التحرير لا يشمل تحرير المجتمعات الغربية الصناعية الحديثة فقط، بقدر ما يجب أن يشمل جميع أنحاء العالم بما فيها مجتمعات العالم الثالث، وضرورة حث القوة الثورية بها لاتخاذ دور ايجابي الثورة.
- حرص ماركيوز على التأكيد على العلاقة القوية بين الصراع البنائي والصراع الفكري، لأن كل منهما يثري الآخر ويثير مجالات جديدة، فالفكر النقدي يطرح أمام الحركات الاجتماعية تفسيرات حقيقية لواقع البناء الاجتماعي الفعلي، والحركة الاجتماعية تستطيع أن تقدم للفكر النقدي أنماطا متعددة من الصراع والممارسة السياسية التي تجعله يتقدم بفهم أعمق للبناء الاجتماعي، وبالطبع الجدل المستمر بينهما يجعل الصراع بينهما وبين النظم والبناءات والفكر القديم أمرا محتوما ويؤدي إلى التغيير الشامل.

هابرماس وتحديث مدرسة فرانكفورت:

يعتبر بورجان هابرماس آخر رواد مدرسة فرانكفورت ولد عام 1929 وانضم بأفكاره إلى هذه المدرسة ليعكس آخر التطورات التي تنتمي إلى فكر النظرية النقدية للمجتمع، ولا يزال يثري بالعديد من المؤلفات التي شغلت المهتمين عموما بقضايا الثقافة والمعرفة وعلماء الاجتماع، لاسيما المنشغلين بالقضايا النظرية السوسيولوجية ومشكلات المجتمع الصناعي وما بعد الصناعي، كما أثرت اسهامات هابرماس النظرية النقدية خاصة أنّها حاولت أن تعيد صياغة أفكارها مرة أخرى تجاه المجتمع الحديث ومشكلاته والتي تغيرت خلال السنوات الأخيرة عن العقود الأولى من القرن الحالي.

سعى هابرماس خاصة في مؤلفاته الأخيرة عن نظرية الفعل الاتصالي إلى طرح ما أسماه بفلسفة اللغة من أجل التوصل الى تطوير الأساس النظري الذي تقوم عليه النظرية النقدية، عن طريق ثلاث مراحل مميزة هي:

- الدعوة الى التحرر عن طريق وجود فلسفه الوعي.
- لابد ان يقوم التواصل والتفاعل بين البشر على اساس عقلاني.
- تتجسد العقلانية في الدقة وتستلزم وجود نظام اجتماعي وديمقراطي، ويشمل الجميع ولا يهدف إلى الهيمنة بقدر ما يقوم على اسس من التواصل والتفاهم.

وعموما يمكن القول بأن النظرية النقدية عند هابرماس ما هي إلّا نتاج للفعل الانساني وتهدف إلى تحقيق غايات هذا الفعل بصورة مستمرة، وهي أيضا أداة لتحقيق مزيد من الحرية، والتحرر لدى البشر، وبالطبع تتطور بصورة مرحلية وعلى مستويات متباينة، وبهذا نلاحظ أن هابرماس سعى لجعل المعرفة شيئا مرتبطا بالتحرر والحرية والبعد عن الهيمنة والاستعباد، والذي ظهر في أفكار هوركهايمر وادورنو وأنصار الاتجاهات التي تعرف ما بعد البنيوية،

كما جاءت أفكار هابرماس لتطور أعمال ماركس الأولى وخاصة التي ترتبط بالعمل وتركز على اللغة والتواصل كأساس لتطور البشرية. **(الرحمن ع.، 2006، الصفحات 442-457)**

5- تقييم النظرية النقدية:

لقد أثرت هذه النظرية في تطوير علم الاجتماع وعلى غيره من العلوم الاجتماعية والإنسانية والثقافية على المستوى النظري والمنهجي، لكنها كغيرها من النظريات تعرضت للعديد من الانتقادات من أهمها:

- جاء نقدها للبنائية الوظيفية (الوضعية) والماركسية كما لو أنهما نظريتان متحدتان إيديولوجيا وفكريا بعيدا عن معرفة الأساس الفكري والإيديولوجي الذي انطلقت منه كل نظرية على حده.

- جاءت وجهات نظر روادها بصورة مجردة وسطحية في كثير من الأحيان حيث كانت دراساتها للمجتمعات الغربية فقط دون الأخذ بعين الاعتبار اختلاف النظم الاجتماعية بمرور الوقت ومن مكان لآخر، مما جعلها بعيدة عن الواقع والصدق التاريخي.

- عكست تصورات النظرية النقدية النزعة الألمانية المثالية (الهيليجية) لهذا جاءت أفكارها ذات طابع تأملي فلسفي كما ينطبق ذلك على أفكار الماركسية التي قامت بنقدها وتحليلها.

- إتسمت النظرية النقدية بالتفاؤل تارة وبالتشاؤم تارة أخرى ما جعلها تفقد مصداقيتها وصعوبة الوصول إلى القوانين العامة للمجتمع.

- لم تعط النظرية النقدية بديلا واقعيا للنظام السياسي في المجتمعات الرأسمالية أو الشرقية الماركسية وكانت تتأرجح بين تبني العقل والثورة والفئات المحرومة ودورها القيادي.

- لم توظف أسلوب النقد كطريقة للتفكير والتطور بصورة عملية وفهم الواقع فهما كاملا.

- جاءت بالقول بضرورة عدم الفصل بين علم الاجتماع والفن وهذا شيء مبالغ فيه وغير واقعي، ما يفقدها طابع الموضوعية والأسس العلمية والمنهجية عند التمييز بين طبيعة علم الاجتماع كعلم وبين الفن كنتاج للإنسان فقط.

- ظهرت الكثير من تصوراتها بصورة فلسفية مجردة وازدواجية في المواقف التي ناقشتها، كما كانت تأمل في خلق مجتمع إنساني يقوم على الوفاق والتكامل بين الإنسانية والمجتمع، وهذا ما يعتبر وفاقا مستحيلا. **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 465، 466)**

المحاضرة 12: رايت ميلز والخيال الاجتماعي Mills Wright and the Sociological Imagination:

1- تعريف لرايت ميلز: من مواليد أوت 1916 بمدينة واكو بتكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر من أهم علماء الاجتماع الأمريكيين، ينحدر من أبوين من الطبقة المتوسطة ذوو أصول إنجليزية، إلتحق بكلية تكساس الزراعية والميكانيكية سنة 1934 1935 بعد إكماله الثانوية، بعد أربع سنوات إلتحق بجامعة تكساس بأوسين حيث تحصل على البكالوريوس والماجستير في علم الاجتماع معا سنة 1939.

بعدها ترشح للدكتوراه في جامعة ويسكونسن في ماديسون وحصل على الدكتوراه عام 1942، عمل أستاذا لعلم الاجتماع بجامعة كولومبيا، وبرز اهتمامه بدراسة الماركسية والتقليد الفيبري والحتمية الاقتصادية والقضايا ذات الصلة بالطبقة المثقفة، وبدورهم نحو الحياة الثقافية الحديثة وانتمى للاتجاه الإمبريقي، توفي في نيويورك سنة 1962. **(أوزقزو عبد القادر، 2018، ص 121)**

يعتبر ميلز الأب الروحي للاتجاه الراديكالي في علم الاجتماع المعاصر، فقد استوعب التراث الفلسفة الأوروبي والأمريكي خاصة الفلسفة البراجماتية النفعية، حيث كانت تعتبر أهم التيارات الفلسفية في الولايات المتحدة آنذاك، واعتباره أهم مؤسسي النزعة الراديكالية في علم الاجتماع المعاصر ليس فقط بسبب نقده للتراث السوسيولوجي التقليدي بل بسبب تبنيه لوجهة نظر راديكالية ملتزمة.

ظهر ميلز من الحركات اليسارية الجديدة التي ظهرت في الكثير من البلدان خاصة الولايات المتحدة الأمريكية تمثلت بحركات الشباب والطلبة 1928، لذا يعتبر رمز المعارضة الراديكالية لكل الممارسات السوسيولوجية التي ظهرت خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وبهدا أصبح جزءا من تاريخ الفكر الاجتماعي الغربي، حيث شكل نقطة فاصلة في مسار الفكر الاجتماعي الذي ظل أسيرا لنزعة محافظة إعتذارية تسعى للدفاع عن الأوضاع القائمة ومعارضة أي تغيرات بنائية شاملة.

كان محور اهتمام ميلز هو استخدام السلطة وإساءة استخدامها حيث كان يرى أن الولايات المتحدة تحكمها نخبة صاحبة قوة وسلطة، يهتم فيها قادة النقابات العمالية في جمع الثروة. (حسام الدين فياض، 2011، ص3)

2- مؤلفات رايت ميلز:

- الشخصية والبناء الاجتماعي character and social structure في 1953.
- الخيال الاجتماعي Th sociological Iimagination في 1959.
- الياقات البيضاء White collar في 1951.
- صفوة القوة The power élite في 1956.
- أسباب الحرب العالمية الثالثة The cause of world war 3 في 1958.
- الماركسي The marxit في 1962.
- اللغة والمنطق والثقافة في 1939.
- The new men of power American's labor leaders.1948 في
- Listen yankee: The cuban case against the united States :1960 في
- Power politics and people 1963 في

(أوزقزو عبد القادر، 2018، ص 122)

3- عوامل التكوين النقدي لميلز: أهم الروافد الفكرية التي كونت الإطار النقدي لميلز ما يلي:

التراث الفلسفي للبراجماتية: حيث اهتم بها في رسالته للدكتوراه التي كانت بعنوان علم الاجتماع والبراغماتية، وهذا لا يعني أنه اتخذها مدخلا للعلم بل يعني أنه استوعبت التراث الفلسفي الأمريكي، مما جعله يرفض النزعة الأمريكية الإحصائية السائدة بين زملائه وإدراكه لتعقد العلاقة بين الفاعل الفردي والبناء الاجتماعي، وأن استيعابه للتراث البراجماتي جعله قادرا على تمثيل الفكر الأوروبي في التاريخ والعلوم الاجتماعية عندما اتصل به بعد ذلك.

الدراسات الإمبريقية: عن الحراك الاجتماعي والاتصال الجماهيري حيث قام ميلز بدراسة النقابات التجارية وصفوة رجال الأعمال وجماعات تنتمي للطبقة الوسطى ودراسات عن الاتصال الجماهيري وقادة الرأي، وقد أجرى كل هذه الدراسات حيث كان يعمل مع بول لازسيفيلد منذ 1945، وتأثر بهذا الأخير كثيرا ودراسة صفوة القوة ودراسات عن ذوي الياقات البيضاء، مما يدل على اهتمام مبكر في حياته بالبناء الاجتماعي الأمريكي، وأنه فقهه بطريقة واقعية أثرت على إخراج دراساته فيما بعد وعلى قدرته في كشف القوة القادرة على تغيير المجتمع أو تثبيته.

الحرب الباردة: معايشة ميلز الحرب الباردة والنزاع الإيديولوجي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي جعل أغلب المسائل التي عالجها تذكر الحرب والسلام، حيث

كان يعتبر أن الحرب تسبب الكثير من الاضطرابات الشخصية واصدر كتابا بعنوان أسباب الحرب العالمية الثالثة سنة 1958، الذي قال فيه أن من أسباب قيام حرب عالمية ثالثة هي تركز القوة في المجتمع الأمريكي في يد جماعة صغيرة لا يمارس الشعب عليها الرقابة، وهذا ما له علاقة في كتب ميلز الأخرى التي عالج فيها مسالة تركز القوة في المجتمع الرأسمالي. **(أحمد زايد 2006، ص 223، 225)**

الاتجاهات النقدية لبعض علماء الاجتماع الألمان الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية إبان الحكم النازي: قبل أن يبدأ ميلز بدراسته قابل بعض العلماء الألمان الفارين من بطش الحكم النازي، وقد كانوا في الاتجاه الراديكالي النقدي لتغيير النازية ويرون أن علم الاجتماع قادر على هذه المهمة، وقد أثار هؤلاء اللاجئون في ميلز الاهتمام الراديكالي، خاصة أنهم وجهوا بعضا من رؤيتهم الراديكالية إلى المجتمع الأمريكي.

كما أولى ميلز اهتماما كبيرا بالصفوة العسكرية وما تلعبه في السيطرة في المجتمع الأمريكي مع الصفوات الأخرى، وهذا ما يبين مدى تأثر ميلز بجماعة المهاجرين. **(حسام الدين فياض، 2011، ص 8)**

مدرسة فرانكفورت: تعتبر من أقوى الجذور الفكرية ليست فقط لميلز بل أيضا باعتبارها النظرية النقدية التقليدية التي لا يزال آخر روادها هبرماس يسهم بأفكاره العلمية، ولا سيما أن العلماء الألمان حللوا المجتمع الأمريكي بصوره نقدية متميزة ورأوا فيه تحولا نحو الشمولية والفاشية الغربية.

الجو الأكاديمي: إن ظروف العصر والمهنة والمجتمع تصقل آراء الباحثين والعلماء والتي تعكس أبحاثهم وأديولوجياتهم ودراساتهم وأفكارهم وهذا ما حدث مع ميلز، حيث حرص أن يجعل اتجاهه النقدي النظري مصقولا بنتائج الدراسات الإمبريقية في معالجته لطبيعة الحياة في المجتمع الأمريكي، مما جعله يتبنى الاتجاه النقدي بعيدا عن النزعات والنظريات السوسيولوجية المحافظة، خاصة النظرية الوظيفية التي انتقدها في أوج شهرتها خلال الخمسينيات والستينيات في القرن العشرين. **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 288، 289)**

4- أهم أفكار ميلز:

إختلف الكثير ممن اهتم بتحليل أعمال ميلز وتصنيفها حول التوجه الإيديولوجي والمعرفي الذي استند إليه، فاعتبره ارفنج هورفيتز براجمتيا أما جولدنار فعده رومانسيا وأطلق عليه آخرون ترتكسي تكساس نتيجة صلته بالفكر الاشتراكي، ورغم أهمية ميلز وشهرته إلا أن العرب أخذوا منه نقلا أكثر مما كتبوا عنه تحليلا ونقدا، ويمكن إيجاز أهم أفكار ميلز فيما يلي:

- ينظر لعلم الاجتماع نظرة براجماتية فالأفكار والنظريات تحدد قيمتها بما يمكن تطبيقه في الواقع منها، وكان يحلل العمليات والعلاقات الإنسانية ويقدم حلولا للمشكلات الخطيرة التي يتعرض لها البناء الاجتماعي للمجتمع الأمريكي.

- دعا إلى ضرورة تبني النظرة الشاملة في الدراسة السوسيولوجية حيث يركز الباحث على ثلاث مستويات هي الإنسان والمجتمع والتاريخ، فالمشكلات الأساسية التي يعانيها الناس هي نتيجة مشكلات البناء الاجتماعي العام وهما مرتبطان بمشكلات التاريخ.

- يرجع ميلز أزمة علم الاجتماع الغربي إلى التصورات الخاطئة عن العلم، حيث يرى أن مفهوم السوسيولوجي لابد أن يكون فكرة ذات مضمون إمبريقي، فإن كان المضمون أكبر من الفكرة تردى علم الاجتماع وسقط في التيار الامبريقي التجزيئي، وإذا كانت الفكرة أوسع وقع علم الاجتماع في شرك عالم المجردات في النظريات الكبرى، ثم يواصل نقده التفصيلي لكلتا النزعتين.

- عاب ميلز على أغلب المشتغلين بعلم الاجتماع في الولايات المتحدة موقفهم المسبق من الماركسية، حيث كان يرى أنه يوجد فرق بين أن تفهم لتقاوم وبين أن ترفض وتقاوم دون وعي وفهم، ولهذا ألف كتابا أسماه الماركسيون، عرض فيه خصائص الفكر الماركسي وبعض المحاولات الإبداعية فيه.

وأوضح أن من يرفض الماركسية يرفض الخصائص المميزة لعلم الاجتماع، فقد اهتم ماركس بالبناء الاجتماعي للمجتمع بشموليته وديناميته وهو اهتمام محوري لعلم الاجتماع، ورفضهم له يعني رفض جوهر علم الاجتماع. كما أن ماركس عرف أهمية التاريخ واستعمله بتفوق وتألق والمنهج التاريخي ضروري لعلم الاجتماع ويقول ميلز أنه ليس ثمة علم اجتماع إلا وكان ماركسيا بالضرورة وإن لم يكن العمل كذلك خرج عن نطاق علم الاجتماع.

- في محاولته الربط بين نقد المجتمع الأمريكي ونقد علم الاجتماع فيه وضح ميلز قضية اغتراب الإنسان الأمريكي وتزييف وعيه وطبعه باللامبالاة فيما يخص التغيير، وربط ذلك بأنها ليست مشكلة اجتماعية بنائية بل نفسية. وليثبت هذا أنجز العديد من الدراسات حول الطبقات الاجتماعية منها الدقة المتوسطة وصفوة القوة، ليخلص أن حقيقة أي طبقة هي محصل لعلاقاتها بسائر الطبقات الاجتماعية، وأن مراكز القوة الاقتصادية في المجتمع الأمريكي هي التي تسيطر عليها جماعة صغيرة هي أصحاب الشركات الكبرى والصفوة العسكرية.

- في إطار تصحيحه لمسارات علم الاجتماع طالب بضرورة تسلح الباحث بما أسماه الخيال السوسيولوجي، حتى يدرك أن الفرد جزء من البناء الاجتماعي والبناء الاجتماعي جزء من التاريخ، وبالتالي إدراك المشكلات الاجتماعية وأنه سياق بنائي ليس فردي. **(عبد الباسط عبد المعطي 1981 ص 151، 154)**

5- الخيال السوسيولوجي عند ميلز(المشروع الأخلاقي): بالرغم من أن ميلز لم يتحدث عن الخيال السوسيولوجي إلا في كتابه قبل الأخير عام 1959 إلا أن الحديث عن ميلز لا يمكن إلا بالانطلاق من فكرة الخيال السوسيولوجي، ذلك أنها تعتبر الإطار النظري والمنهجي التي وجهت كل دراساته السابقة. **(أحمد زايد، 2006، ص 226)**

تتمثل أهمية إسهامات ميلز في النظرية النقدية المعاصرة أنها حاولت تقييم النظريات السوسيولوجية الكبرى المسيطرة على الفكر السوسيولوجي، كما جاءت تصوراته النقدية بمعية البدائل النظرية والأطر البحثية والمنهجية التحليلية لتجدد وتحدث علم الاجتماع وعلمائه، وهذا ما أشار إليه ميلز فيما أطلق عليه بالمشروع الأخلاقي لعلم الاجتماعي، متمثلا في الخيال السوسيولوجي الذي من خلاله يمكن الخروج من الأزمة التي تواجه علم الاجتماع والباحثين الاجتماعيين.

لقد حاول ميلز عن طريق الخيال السوسيولوجي أن يقيم النظرية السوسيولوجية الكبرى سواء كانت وظيفية أو كلاسيكية ومن ثم يعتبر أداة منهجية وتحليلية لدراسة الفكر السوسيولوجي محاولة إعادة بنائه من جديد على أسس من البدائل الواقعية التي يمكن أن تفهم الظواهر والمشكلات والبناءات الاجتماعية وعلاقتها بالفرد والإنسان الحديث.

كما يرى ميلز أن الخيال السوسيولوجي يقود الباحث بعيدا عن الاتجاهات الإيديولوجية المرتبطة بالدولة والسلطة السياسية، وتساعده في الالتزام بالأهداف والقدرة على النقد، إضافة إلى ذلك يرى ميلز أن فكرة الخيال السوسيولوجي تساهم في الربط بين مستويين رئيسيين من مستويات التحليل السوسيولوجي، الأول هو مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي والثاني هو مستوى الفرد كما تساعد على فهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمجتمع ككل، وتاريخ الإنسان وتاريخ المجتمع وتفسير البيئة الخارجية.

أيضا سعى ميلز ليوضح أن الخيال السوسيولوجي يحتاج إلى مهارات عقلية لا يحتاج أن يتمتع بها الباحث الاجتماعي فقط بل أيضا فئات مهنية أخرى كالصحفيون والفنانون والدارسون للنظام علاوة على عامة الناس لفهم واقعهم المعاش.

ومن منطلق سوسيوسيكولوجي أبرز ميلز فكرة الخيار السوسيولوجي للفرد وأهميتها في إدراكه لمكونات الاتجاه الداخلية والخارجية المحيطة به، حيث يفهم الوعي الزائف المرتبط بالأوضاع العامة للحياة الحديثة، كما أنها تبعد مظاهر القلق الشخصي واللامبالاة وبالتالي يقلل حصيلة المشكلات في البناء الاجتماعي.

يمكن القول أنه عن طريق الخيال السوسيولوجي يمكن فهم المشكلات العامة والخاصة خاصة مشكلة الاغتراب واللاوعي، وحاول ميلز من خلاله مناقشة عدة قضايا متمثلة في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيروقراطية ونظم الليبرالية والديمقراطية وبناءات الشخصية في المجتمع الإيديولوجي الرأسمالي أو الماركسي الشيوعي، علاوة على مناقشته للدور الوظيفي والمهني للباحث الاجتماعي وكيفية استقلاله عن السلطة السياسية.**(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 292، 255)**

المحاضرة 13: نظرية التفاعلية الرمزيةSymbolic Interactionism

1- الجذور الفكرية لنظرية التفاعلية الرمزية:

يرجع ظهور التفاعلية الرمزية إلى النزاعات الاجتماعية السلوكية والتي تعرف أيضا بالنزاعات الاجتماعية النفسية التي تعود بدورها الى مجموعة من العلماء الأمريكيين والأوروبيين، سيما مدرسة شيكاغو التي تأسست في القرن 19 خاصة عندما نشر توماس كتابه عن الفلاح البولندي في بولندا وأفريقيا، أيضا إلى تحليلات روبرت ماك من جامعة هارفارد التي ركزت على دراسة الخصائص الحضرية والبيئة الاجتماعية والثقافية والسيكولوجية التي تؤثر على عمليات التفاعل بين الجماعات المحلية.

كما ترتبط بإسهامات بعض علماء النفس والتربية والفلسفة والاجتماع وهذا ما ظهر في الإسهامات الأولى لكل من جورج ميد وعالم البراجماتية الشهير جون ديوي اللذان أسهما كثيرا في تطوير التحليلات السلوكية الواقعية، إلا أن تطور التفاعلية رمزية استمر بعد ميد و ديوي وهذا ما ظهر في إسهامات هاربرت بلومر وبارك توماس وايفرت هوجز اللذان تأثرا بروبرت بارك في مجال الدراسات الحضرية، ثم ترك هؤلاء جيلا من العلماء طوروا النظرية أكثر من السنوات الأخيرة من القرن العشرين. **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 167، 168)**

2- تعريف نظرية التفاعلية الرمزية:

يدور فكر التفاعلية رمزية حول مفهومين أساسيين هما الرموز symbols والمعاني meanings في ضوء صورة معينة للمجتمع المتفاعل **(طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص120)**

وقد كان هيربرت بلومر أحد تلاميذ ميد أول من صك مصطلح التفاعل الرمزي وهو يشمل جانبين مترابطين، جانب عملية التفاعل وأساسها الفعل الاجتماعي الموجه والذي يحمل معنى والجانب الآخر أن عملية التفاعل تتم من خلال نظام رمزي، والمنطلق هنا أن الفعل الاجتماعي الموجه للحصول على استجابة من الآخر يؤدي إلى عملية التفاعل التي ترتكز أساسا على الخاصية الرمزية للفعل.

والمتفاعلين هنا حسب بلومر لا يتبعون وصفات اجتماعية ثقافية بشكل حتمي بل يقومون بتأويل معنى الفعل والرمز، وبهذا لا ينظر للعمليات الاجتماعية وما ينتج عنها من بناءات اجتماعية وثقافية كأشياء ثابتة بل كعمليات دينامية متغيره ومفتوحة.

يلعب النظام الرمزي وخاصة اللغة دورا هاما فعمليات التفاعل والاتصال تتضمن استخدام رموز دالة تؤول معانيها في إطار خبرات الجماعة وسياق الفعل، ومن ثم يعتبر اكتساب الفرد للنظام الرمزي للجماعة أساس قدرته على التفاعل وأيضا أساسا في تشكيل ذاته وعقله ونموهما، وبالتالي أساس تشكيل ما هو اجتماعي ثقافي **(ابراهيم عيسى، 2008، ص 113)**

3- منهج التفاعلية الرمزية:

من أهم إسهامات بلومر في النظرية التفاعلية الرمزية هي محاولته لطرح منهج معين أو في بعض الأحيان عدد من المناهج البحثية وطرق الاستقصاء، التي سعى لوصفها والتي جاءت اضافة أخرى ليس فقط في مجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة ولكن أيضا محاولة لتحديد مناهج البحث الميداني التي تساهم في تطوير الإطار التصوري المرجعي للنظرية السوسيولوجية ككل.

ولعل هذا يتضح من خلال عنوان كتابه المميز عن" التفاعلية الرمزية المنظور والمنهج " فلقد سعى بلومر لتأييد المدخل التقليدي الذي طرحه استاذه ميد حول المنهج التفاعلي الرمزي، الذي يرفض المناهج السيكولوجية الخالصة التي تقوم على منهج المنبه والاستجابة فقط، لهذا حرص بلومر على ضرورة أن يكون هذا المنهج الجديد للتفاعلية الرمزية مبنيا على أساس المنبه، التفسير، الاستجابة.

من ناحيه أخرى طرح بلومر عدد من أدوات البحث المنهجي والتي تتمثل في كل من استمارة البحث والملاحظة بالمشاركة، هذا بالإضافة الى استعانته بالمنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي، وبالطبع أن هذين المنهجين يعتبران من المناهج التي تتبناها كل من العلوم التجريبية او الرياضية والنظرية في نفس الوقت، ويمكن استخدامهما في دراسة التفاعل الرمزي لاسيما أنّهما اسهما في تطوير هذه العلوم بصورة كبيرة.

علاوة على ذلك عالج بلومر الكثير من أدوات وتحليل البحث الاجتماعي الأخرى بالإضافة الى الملاحظة واستمارة البحث، خاصة التحليل الكمي الاحصائي، وذلك في محاولة منه لتطوير مجال البحوث السوسيولوجية، لاسيما ذلك النوع من البحوث التي تعتمد على الدراسات التحليلية المصغرة، خاصة أنّ التفاعل الرمزي كمنهج ونظرية يجب أن يعتمد على دراسة المشكلات والقضايا الصغرى التي ترتبط بالسلوك، أو التفاعل والجماعات الاجتماعية الصغيرة أو التنظيمات. **(الرحمن ع.، 2006، صفحة 180)**

4- إسهامات الرواد في التفاعلية الرمزية:

يعتبر تشارلز كولي وجورج هاربرت ميد وهاربرت بلومر من أبرز ممثلي منظور التفاعلية الرمزية.

تشارلز كولي: يعتبر من أهم رواد التفاعلية الرمزية في الولايات المتحدة حيث قام بدراسة المجتمع على اعتبار أنه نتاج التفاعلات بين الناس الذين تعلموا تفسير مجموعة متنوعة من الرموز. **(طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص 123)**

جعل كولي تصورات الإنسان ذاته ولذوات الآخرين وتصوراته لما هو اجتماعي هي الحقائق الأساسية في حقيقة المجتمع، فهذا الأخير ما هو إلا نتاج عملية تفاعل بين الذوات والعقول، وبهذا فهو حقيقة عقلية ليس لها وجود موضوعي مستقل عن تصورات الأفراد في إطار تفاعلهم، كما يرى أنه توجد جماعات أولية وسيطة تربط بين الفرد والمجتمع وهي التي تنمو في أطرها المثل الاجتماعية للفرد وتحقق طبيعته الإنسانية

كما يقول إن الذات والعقل لا يولد مع الانسان بل يتشكلان من خلال التفاعل مع الآخرين ونمو الذات هو وعي الإنسان بذاته ووعيه بذوات الآخرين ومن ثم وعيا اجتماعيا وهذا ما يتضح في مفهومه المرآة العاكسة للذات.

منهجيا يرى كولي أنه على الباحث أن لا يكتفي بملاحظة الظاهر بل عليه الغوص في فهم المعنى الذاتي للسلوك بمعرفة ما وراءه من حوافز وهو لا يقترب من مفهوم استبطان المعنى لدى فيبر. **(ابراهيم عيسى عثمان، 2008 ص 117، 119)**

جورج هاربرت ميد:(1863-1931) المؤسس الأول للتفاعلية الرمزية ومن أهم رواد الفكر الأمريكي حصل ميد على تعليمه الأساسي وتخرج من جامعة هارفارد وتأثر كثيرا بالفلاسفة البراجماتيين المنتمين لمدرسة جون ديوي، وخلال وجوده في ألمانيا تعلم كثيرا على أيدي العلماء الألمان في جامعة لينبرغ وبرلين، ثم عاد إلى أمريكا ليقابل زملائه جون ديوي وتشارلز كولي في جامعة ميتشيغان وشيكاغو، ولقد سعى ميد إلى وضع نظرية سيكولوجية عن الذات self تنتمي إلى التحليلات لعلم النفس الاجتماعي

جاء تحليلات ميد في عدد من المقالات والكتب عكست الإطار الفكري لميد الذي يجمع بين الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، وتعتبر أهم الأسس للتفاعلية الرمزية هي:

الذات والعقل self and mind

التفاعل الاجتماعي social interaction

المعنى الرمزي symbolicmeaning **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 172 173)**

ويرى ميت أن الناس لا يتصرفون بشكل آلي بل يعطون معاني لأفعالهم ويأخذون في اعتبارهم ما يعتقده الآخرون والموقف situation الذي يوجدون فيه، كما أن التوقعات expectations ورد الفعل reaction الآخرين تؤثر بقوه في التصرف الفردي، كما أن الناس يعطون معاني للأشياء ويتصرفون على أساسها **(طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد د ت، ص 124)**

هربرت بلومر: يعد من بين أهم ممثلي التفاعلية الرمزية وهو من قدم مصطلح التفاعل الرمزي عام 1937 في مقاله علم النفس الاجتماعي، ويشير هذا المصطلح إلى الاتجاه الذي يمثله شارلز كولي ودبليو توماس وروبرت بارك وبيرجس وويليام جيمس وجون ديوي وجورج هربرت ميد، ثم تناول المصطلح في دراسة لاحقة له بعنوان المجتمع والتفاعل الرمزي حيث يقول بلومر بأن ميد أكثر من الآخرين مساهمة في وضع أساس هذا الاتجاه.

كما أثر مفهوم بلومر وليس ميد في التفاعليين الرمزيين سواء في أفكارهم أو دراستهم الميدانية. **(نادية عمر الجولاني، 2009، ص 59)**

وينظر بلومر إلى المجتمع على اعتبار أنه نتاج للتفاعل الاجتماعي ويتم خلقه بطريقة متطورة ومستمرة، كما قام بتطبيق مدخل التفاعلية الرمزية في دراسة أشكال السلوك الجمعي مثل دراسة الحشد crowd، ويرى أن المشكلات الاجتماعية يتم الإشارة إليها غالبا على اعتبار أنها نتاج للتعريف الجمعي الذي يظهر من خلال عملية التفاعل الاجتماعي أكثر مما ينظر إليها باعتبارها نتيجة حتمية لظروف موضوعية.

يرتكز التفاعل رمزي عند بلومر على ثلاث مقدمات منطقية هي:

- الكائنات الإنسانية تسلك إزاء الاشياء في ضوء ما تنطوي عليه هذه الاشياء من معاني ظاهره لهم.

- أن هذه المعاني هي نتائج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.

- أن هذه المعاني تتعدل وتتشكل من خلال عمليه التأويل التي يستخدمها كل فرد في تعامله مع الرموز التي تواجهه.

وبناءا على هذه الأسس يصبح التفاعل الرمزي مخططا تحليليا للمجتمع الإنساني يختلف عن بقية المخططات وتتفق معظم مدارس التفاعلية الرمزية على التسليم بأن الكائنات الانسانية إنما تسوغ الواقع الذي تعيش فيه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي. **(طلعت ابراهيم، كمال عبد الحميد، دت، ص 124، 125)**

جوفمان والنظام التفاعلي:

جاءت اسهامات إيرفنج جوفمان لتحديث نظرية التفاعلية الرمزية سواء من حيث الإطار التصوري المرجعي أو من حيث المنهج والدراسات الميدانية التي قام بها للتأكد من هذه المعطيات والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها النظرية التفاعلية الرمزية، لقد ارتبطت النشأة التطورية والأكاديمية لجوفمان بجملة اسهامات في مجال التفاعلية رمزية، فعندما تخرج من جامعه تورتونو هاجر الى الولايات المتحدة حيث حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعه شيكاغو ثم التحق بأستاذه هيربيرت بلومر في جامعه كاليفورنيا ثم أصبح أستاذا للأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع بجامعه بنسلفانيا الى نهاية حياته 1982.

ترتبط تحليلات غوفمان بأستاذه بلومر ومؤسس التفاعلية الرمزية جورج ميد، كما أنّ تحليلات دوركايم حول تأثير التنظيمات والممارسات الشعائرية كانت لها أثرا كبيرا على كتاباته عن طبيعة المؤسسات الصحية العقلية، التي حاول غوفمان فيها أن يجسد نظريته حول تفاعليه الرمزية ومنهجيته المميزة، التي عالج بها الكثير من القضايا والمشكلات التي تناولتها هذه النظرية.

من ناحية أخرى تركت كتابات جوفمان الكثير من البصمات على عدد من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا مثل بيتر بلاو لاسيما استخدامه لمفهوم التأثير الاداري والمسافة الاجتماعية، كما كانت كتاباته مصدرا لإلهام الكثير من روّاد النظرية الاثنوميتودولوجية، وأثر كثيرا في تحليلات رواد نظريه الصراع المعاصر أو ما يعرف في الماركسية المحدثة، كما جاءت إسهامات جوفمان لتعزز تحليلات كل من رايت ميلز وتالكوت بارسونز.

جاءت اهم أفكار غوفمان في ثلاث نقاط رئيسية في إطار طرحه لنظرية متطورة عن التفاعلية الرمزية وهي:

التفاعلية ومنظور الفن المسرحي.

التفاعلية ودراسة المرض العقلي.

التفاعلية والأدوار والحرية.

التفاعلية ومنظور الفن المسرحي: ذهب غوفمان في كتابه المميز تقديس الذات او النفس في الحياة اليومية أن المبادئ أو النفس نوع من التأليف المسرحي، هذا النوع أطلق عليه جوفمان منظور الفن المسرحي وهو يمثل المنظور الأداء المسرحي الذي تقوم به مجموعة من الأفراد بدءا من الذات او النفس وما تتضمن من معاني ورموز فجميعها تعكس دور الفرد في الحياة اليومية والتي تشبه دور الممثل على المسرح.

التفاعلية ودراسة المرض العقلي : جاءت اسهامات جوفمان لتطبيق كيفية استخدام التفاعلية الرمزية كنظرية ومنهج يقوم على المنظور الفني المسرحي عندما اهتم بدراسة المؤسسات او التنظيمات العامة وهذا ما ظهر في مؤلفه المستشفيات العقلية، حيث اعتبر المستشفى العقلي والسجن او المعتقل ما هي الا مؤسسات أو انساقا مغلقة نسبيا، يظهر فيها أنماط التفاعل الاجتماعي التي تعكس جوانب أخرى من التمثيل المسرحي، لكن قد تختلف هذه الأنماط التفاعلية حيث تجبر اعداد كبيرة من الأفراد على العيش في مكان واحد، تحت سيطرة واحدة، كما يخضع الافراد الى سلطة جديدة ونظام رقابي وضبط صارم، وهذا ما يحدث داخل المستشفيات الصحية العقلية.

التفاعلية والأدوار والحرية: عالج غوفمان طبيعة الأدوار وعلاقتها بالحرية في إطار اسهاماته للتفاعلية الرمزية، لا سيما أن| الفرد دائما يسعى لمزيد من الحرية والاستقلال خلال

قيامه بأدوار تقليدية، ولكنه يعجز في ذلك، وهذا ما حرص جوفمان على أن يحلله خلال التميز بين الأدوار النمطية أي المثالية او الطابع المعياري للدور الفردي وبين الأداء الحقيقي، أي الواقعي في دور معين بالذات.

لدراسة طبيعة الموقف أو نوعية النشاط الذي يقوم به الفرد خلال أدائه للدورين سواء كان نمطيا مثاليا أو واقعيا حقيقيا، هذا ما حاول جوفمان من خلال تحليل كلا من الدورين اللذين يقوم بهما على سبيل المثال رئيس الجراحين في احدى المستشفيات الكبرى، او ما يقوم به أيضا بعض الممثلين على المسرح وحياتهم الفعلية.

بلاو والتبادل الاجتماعي : تأتي اسهامات بير بلاو في مجال النظرية التفاعلية لاسيما اهتماماته حول بناء نظرية عن التبادل الاجتماعي، التي تقوم أساسا على العملية التفاعلية سواء بين الأفراد أو الجماعات او المجتمعات، حرص بلاو على دراسة وتحليل الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تنتج عن عملية التفاعل وتشكل هذه العلاقات ذاتها، كما ركّز على أنّ العلاقات والروابط وأنماط التفاعل تترجم في عملية واحدة وهي عملية التبادل الاجتماعي والتي تبدا من المستوى الفردي ثم تزداد أنماط التبادل تعقيدا لتصل الى مستوى الجماعة الصغيرة، لكنّها تبلغ أكثر درجات التعقيد عندما تصل الى المجتمع الأكبر.

ان اهتمامات بلاو جمعت بين إسهامات علماء النفس الاجتماعي خاصة تحليلات جورج هومانز، كما تأثر بتحليلات عدد العلماء الاجتماع مثل دوركايم وفيبر خاصة تحليلات الأخير عن القوة، علاوة على تأثير بلاو وخاصة على علماء علم الاجتماع التنظيم والذي يصنفه البعض بأنّه أحد علماء نظرية التنظيم المعاصرة، وهذا ما جعل بلاو يضع مؤلفا هاما بعنوان بناء التنظيمات.

تعكس اهتمامات بلاو دراسته لبناءات الاجتماعية في محاوله منه لطرح نظرية عامة عن البناءات الاجتماعية، تكون لها مكان الصدارة والقيمة العلمية التي احرزتها نظريات أخرى مثل نظرية الفعل الاجتماعي عند فيبر، ومن هذا المنطلق يتميز بلاو بمحاولته الاستعانة بالكثير من التحليلات البنيوية الفرنسية او ما بعد البنيوية خاصه تحليلات العالم الفرنسي ميشل فوكو.

كما ظهرت تحليلات بلاو حول التبادل والقوة في الحياة الاجتماعية في إحدى مؤلفاته المميزة والتي تحمل نفس هذا العنوان، حيث رأى بلاو أن التبادل الاجتماعي الذي يعتبر جوهر نظريته السوسيولوجية يمثل القسم الرئيسي الذي يوجد في المؤسسات الاجتماعية والجماعات والمجتمعات، اما المعايير والقيم فإنها تظل في الخلفية إلّا أنّها ذات اهمية أيضا بالنسبة للقسم الرئيسي الذي يتضمن التبادل الاقتصادي بصورة خاصة، وبهذا حاول بلاو أن يميز صراحة بين قيمة التبادل الاقتصادي والتبادل الناتج عن تأثير القيم والمعايير.

جاءت اهتمامات بلاو حول التبادل والقوة والتفاعل الاجتماعي ذات طابع مميز نظرا لمحاولته معالجة هذه القضايا الجماعات الأولية أو الثانوية التي تتم فيها العلاقات بصورة تطوعية واختيارية ولكن أيضا في داخل التنظيمات الرسمية وهذا ما جعله يهتم بهذه التنظيمات ويدعم مؤلف مميز حول الديناميكية البيروقراطية. **(الرحمن ع.، 2006، الصفحات 182-188)**

5- تقييم نظرية التفاعلية الرمزية:

هناك العديد من المزايا التفاعلية الرمزية إذ تصور أعضاء المجتمع على اعتبار أنهم كائنات حية نشطة لديهم القدرة على التفكير وتشكيل حياة اجتماعية، كما تهتم بأفعال الناس الواقعية وتحديد المعاني التي يعطيها الناس لأفعالهم وأفعال الآخرين، وعلى عكس المفهومات المجردة في المنظور الوظيفي ومنظور الصراع توجه التفاعلية الرمزية اهتمامها إلى التفاصيل المحسوسة للحياة البشرية من خلال ملاحظة الأفراد. **(طلعت ابراهيم، كمال عبد الحميد، دت، ص 130)**

لكن بالرغم من أهمية التفاعلية الرمزية وإثرائها لمجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة إلا أنها تعرضت للعديد من الانتقادات مثل ما ظهر في رد فعل أحد روادها المعاصرين سيلدون سترايكر كما يلي:

- تخلت كثيرا عن استعمال الأساليب العلمية التقليدية خاصة أن بعض رواد يرون صعوبة استعمال الأساليب الكمية في القضايا التي تهتم بالذات والوعي مما أبعدهم عن الموضوعية.

- وجود العديد من التحليلات الغامضة فيها مثل تحليلات ميد حول الذات والعقل والعلاقة بينهم،ا مما جعل الكثير من آرائه مبهمة وغير قابلة للاختبار وعدم الوصول للقوانين حول التفاعلية الرمزية.

- لم تهتم التفاعلية الرمزية في معظم تحليلاتها بدراسة البناءات الكبرى large structure مما جعلها غير قابلة للتنبؤ، خاصة في القضايا التي درستها نظريا وميدانيا في نفس الوقت.

- أخفقت التفاعلية الرمزية في تحليل الكثير من المفهومات والتصورات السيكولوجية إن لم تكن أهملتها تماما مثل الحاجات، الدوافع، التوتر، الإلهام، وركزت فقط على دراسة المعاني والرموز والفعل والتفاعل.

- سعت التفاعلية الرمزية إلى دراسة المواقف الحياتية التي تتميز بالمواقف السريعة والسطحية دون التعمق في فهم التفاعل الذي يحدث في المواقف غير الظاهرة في المجتمع مثل الجريمة والانحراف والخلل الاجتماعي عموما.

- أهملت التفاعلية الرمزية دراسته البناءات الاجتماعية الكبرى واهتمت فقط بالقضايا الصغيرة مثل التفاعل والرمز والمعنى. **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص201، 202).**

المحاضرة 14: النظرية الظاهراتية: phemonology

1- الجذور الفكرية للنظرية الفينومينولوجية:

جاءت الإسهامات الفينومينولوجية (الظاهرية) في سياق التيار الفكري الفينومينولوجي منذ أفلاطون وأفلوطين والمدرسة الظاهرة لدى ابن داود وابن حزم وحتى ابن خلدون والمقريزي، مرور بفلسفة ديكارت و ليبتنز، و كانت و هيجل وصولا إلى دلتاي و برينتانو و كارل شتوف و هوسرل و شلر، و هيدجر و بونتي، وماكس فيبر و لوكمان و بيرجر و موريس و ناتاتسون.

وهو الذي تأثر بفكر كل من شوتز و ماكس فيبر و استخدام مفهوم الفرد، والنمط على أساس اعتبارهما وسيلتين لتحليل وعي الذات البينية المشتركة inter subjectif consciousness ، وصولا إلى الفينومينولوجيين الوجوديين المعاصرين أمثال هيدجر، وسارتر، وغيرهم من علماء الاجتماع مثل جروفتش، وفركاندت وتيودورليث ومونيرو، وبيرفالد، وبارسونز وتيرياكيان وجوفمان ، وجارفنكل وميلر، وهابرماس وسيكورل وماتزاودوجلاس، والفن جولدنر وجورج أونيل وميرتون.... **(فادية عمر الجولاني،2009، ص155-156)**

كما جاءت تحليلات معظم رواد الفينومينولوجية في فترات اضطرابات سياسية واقتصادية شككت عموما في مصداقية النظام الاجتماعي الرأسمالي والشيوعي، حيث كانا يسيطران على العالم آنذاك، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.

كما كان لظهور الشيوعية والفاشية والنازية كنزعات سياسية ديكتاتورية أثرا كبيرا في تمرد العديد من العلماء الشبان، لاسيما ما حدث في ألمانيا نتيجة حكم هتلر النازي، وقد كتب العديد من مظاهر التمرد الذي ظهر هناك وخاصة بعدما تم التحفظ على أفكار العلماء والباحثين الذين سعوا اساسا لطرح أفكار بديلة لطبيعة السياسة الديكتاتورية مثل النازية، وهذا ما جعل الكثير منهم يهرب خارج ألمانيا الى باقي الدول الأوروبية وإلى أمريكا.

كما ظهر ذلك في أنصار مدرسة فرانكفورت، إلا أن الاتجاه الفينومينولوجي قد سلك نهجا فكريا آخرا متميزا نسبيا على الاتجاه النقدي، وهذا ما ظهر في كتابات هوسلر الذي كتب معظم كتاباته بعيدا عن رؤى البوليس النازي، وتصورات شوتز التي ظلت كامنة حتى بعد هجرته الى الولايات المتحدة. **(عبد الله محمد عبد الرحمن،2006،ص207-208)**

وقد بدأت الظاهرية كحركة في الفلسفة الأوروبية وزادت أهميتها في علم الاجتماع خاصة علم الاجتماع الأمريكي، و يستمد الخط الفكري الرئيسي الذي تشكله الظاهرية الأمريكية

المعاصرة، بداية من الفيلسوف الألماني أدموند هوسلر وهو الذي ترجع مفاهيمه النظرية لأعمال الفيلسوف الألماني عالم النفس برينتاني، الذي بدوره أخذت تلك المفاهيم وخاصة القصدية والوعي والرد من الأعمال اللاهوتية الأوروبية في العصور الوسطى.

والتي شحنتها الفلسفة العربية الظاهرية بتلك المفاهيم عن طريق ليبتز، الذي أخذها عن أعمال صديقه ابن حزم وعن أعمال ابن رشد، التي ترجمت وتسربت إلى الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، فضلا عن أعمال الإمام الغزالي وغيره من فلاسفة العرب المسلمين، كما تعتبر كتابات شوتز بمثابة الجسر الذي عبرت منه الظاهرية من ألمانيا وأمريكا.

وهذه الكتابات تعتبر المصدر الإلهامي لأصحاب هذا الاتجاه من الاجتماعيين الأمريكيين، أمثال: موريس ناتانسون، وبيتر برجل ومن الاثنوميتودولوجي جارفينكل. **(فادية عمر لجولاني،2009،ص11-12)**

2- تعريف النظرية الفينومينولوجية (الظاهراتيية) :

أول من اصطنع مصطلح الفينومينولوجية أدموند هوسلر ثم شاع استعماله عند أتباعه أمثال جاسبروهيدجر وماكس شيلر، وكان هذا الاخير الممثل الحقيقي لهذا التيار الذي يؤكد على الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في في تجاربنا المباشرة،لمعرفة مكونات الظاهرة دون الالتفات الى جوانبها السطحية**(معن خليل عمر،243،2005)**

كما كان هوسلر أول من طرح تعريفا الفينومينولوجية بأنها «محاولة لدراسة الأشياء» التي يمكن التعرف عليها بواسطة حواسنا،وهذا يعتبر عنصرا أساسيا لفهم الفينومينولوجية phenomenology (الظاهرة) فهي تعني أنه لا يمكن التعرف على الأشياء أكثر مما لدى الأفراد من خبرات حصلوا عليها مباشرة من حواسهم. **(عبد الله محمد عبد الرحمن،2006،ص207)**

قصد هوسلر بالظاهرية محاولة لوصف الأساس النهائي ultimate للتجربة الإنسانية، عن طريق محاولة النظر إلى ما وراء المرئي في التجارب اليومية، لوصف حيثيات هذه التجارب.

كما رأى أن تجارب الفرد هي التي تحدد قدراته في تحديد أصل ومنبع الظاهرة المعاشة، وتحديد أصل أو الطبيعة الأولية للظاهرة هي الأساس لكل التجارب، لأنه من خلالها يمكن فهمها والوعي بها، ومن ثم يجب التوقيف أو التعليق epaoche . وهو أن يحرر الباحث أو الاجتماعي نفسه من جميع المواقف المسبقة وتحييد نفسه خارج أفكاره المعتادة عن العالم.

وفي رأيه هذه الوسيلة الوحيدة التي تمكن الباحث في اختيار منبع الوعي ومصدر التجارب في الماضي والحاضر والمتوقعة مستقبلا، والتي تحكم وجود الإنسان ومعرفته. **(فادية عمر الجولاني،2009،ص13-14)**

كما تركز الظاهراتية على مفهومها الأكبر " التخلل الذاتي " أو الذوات المتداخلة التي تعني إجابات على التساؤلات الآتية:

- كيف تعرف أفكار الاخرين؟
- كيف نعرف أنفسنا؟
- كيف يتم تبادل رؤانا وإدراكاتنا مع الآخرين؟
- كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين؟
- كيف يتصل الفواعل فيما بينهم؟ **(معن خليل عمر،2005،ص246)**

وقد تعددت المصادر المعرفية للظاهراتية الاجتماعية، و خاصة كما تجلت في كتابات ألفرد شوتز حيث شملت الفلسفة الظاهراتية خاصة عند هوسرل، وما جاء به فيبر عن الفعل الاجتماعي، وعملية الفهم التي تقوم على استنباط المعنى وتأويله، ثم ما جاء به منهايم خاصة في مجال علم اجتماع المعرفة. **(ابراهيم عيسى عثمان،2008،ص239-240)**

إن تطور الظاهراتية في الفلسفة يمثل تحد لكل الفرضيات الأساسية في الطبيعة التجريبية للعلم، فالظاهراتية تطرح تساؤلات جادة ونوعية حول الوجود التجريبي لعلم الاجتماع، وهي بذلك تتحدى المعنى المتضمن في معرفه علم الاجتماع التقليدي، إذ أن بعض الاجتماعيين يميل للاعتقاد بأن الظاهراتية الحديثة تمثل النقيض للوضعية المحدثة في علم الاجتماع.

(فادية عمر الجولاني،2009،ص11)

3- الفينومينولوجية عند هوسرل:

- هوسرل وأزمة المعرفة العلمية:

يعتبر ادموند هوسرل(1859- 1938) المؤسس التاريخي للاتجاه الفينومينولوجي الفلسفي، كما أنه الأول من حاول إعطاء تعريف له، هذا الفكر الذي ظهر في ألمانيا خلال العقود الأخيرة من القرن 19 واوائل القرن 20 كرد فعل للظروف الاقتصادية و التاريخية و السياسية و الاجتماعية ما قبل ظهور النازية إبان حكم هتلر، حيث حاول أن يعيد المجد القديم للفلسفة واعتبارها أم العلوم الحديثة، وانتقد النظريات الوضعية التي تخضع الظاهرة الاجتماعية للدراسة الامبريقية التجريبية ونادى بضرورة تبني المبادئ التي تؤمن بأهمية العقل والوعي في تفسير الظاهرة.

كما امتزجت افكاره بالعديد من الآراء السيكولوجية من علماء النفس الذين اكتسبوا شهرة متميزة خلال معاصرته لهم.

- **الظاهرة الاجتماعية والسيكولوجية:** وضع هوسرل تصوراته على أساس مهاجمته للنزعات الوضعية والسيكولوجية التي سيطرت أفكارها على الفكر الأوروبي آنذاك حيث بالرغم من أن حياته بدأت بالرياضيات والفيزياء إلا أنه سرعان ما تأثر بتحليلات علم النفس وعلمائه، ولقد طرح في كتابه الأساسي فلسفة الرياضيات ضرورة تحليل الأفكار على أساس سيكولوجي خالص، واعتبر أن علم النفس الميداني قادر على إعطاء الكثير من المعارف الرياضية.

كما رأى أن تبني المذهب الوضعي يؤدي إلى عدم فهم الظواهر السيكولوجية و الاجتماعية.

- **المعرفة وعلم الحياة:** جاءت محاولات هوسرل لوضع المنهج الظاهراتي لفهم عالم الحياة والبحث عن الحقيقة والمعرفة الموجودة فيه، هذا العالم الذي يشير إلى وعي الإنسان بالعالم الذي يقوم على منهج التأمل والاستقراء و الدراسة بصورة عقلية واقعية لتفسير طبيعة العالم، الذي لا يمكن إدراكه إلا عن طريق الوعي من خلال الإدراك الحدسي، من خلال أنشطة الحياة اليومية، التي تعتبر المصدر الأساسي للمعرفة العلمية ككل، حيث أكد هوسرل على ضرورة إعادة الصلة بين المعرفة العلمية وهذا المصدر وهو خبرة الحياة اليومية أو ما اسماه بعالم الحياة. **(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص212- 218)**

4- شوتز وفينومينولوجية العالم الاجتماعي:

جاءت آراء أنصار النظرية الفينومينولوجية لتؤكد على أهمية علم الاجتماع لتقديم رؤية تحليلية للعالم الخارجي الذي نعيش فيه، بالرغم من تأكيدهم أيضا على كيفية تصورنا لهذا العالم عن طريق إدراكنا ومفاهيمنا التي نكتسبها عن طريق الخبرة، وتحليل الظواهر الخارجية وما يحدث في حياتنا اليومية، هذا ما يمثل آراء أبرز رواد الفينومينولوجية شهرة وأهمية وهو الفريد شوتز، الذي ساهم في بلورة الكثير من المقولات والقضايا الأساسية التي تقوم عليها النظرية الفينومينولوجية المعاصرة.

لقد جاءت النشأة الأولى لشوتز باعتباره فيلسوفا اجتماعيا ترك ألمانيا هروبا من بطش النازية عام 1939 وهاجر إلى الولايات المتحدة، وعمل العديد من الأعمال لمواجهة ظروف الحياة، ثم بدأ تدريس الفلسفة الاجتماعية ثم أصبح أستاذا لعلم الاجتماع والفلسفة حتى وفاته عام 1959 ، وعموما يعتبر شوتز أول من قدّم النظرية الفينومينولوجية وأسسها في الولايات المتحدة.

تعدّدت إسهامات شوتز في مجال النظرية الفينومينولوجية التي بين التحليلات الفلسفية والسوسيولوجيه والسيكولوجيه في نفس الوقت، وأهم افكار شوتز في هذه النظرية ما يلي:

- **المعرفه والعالم الاجتماعي:**

حاول شوتز تقديم تحليل مبسط لطبيعة المعرفة الإنسانية وتكوينها للعالم الاجتماعي الذي نعيش فيه مما جعله يستخدم الوعي او الشعور وتحديد علاقة الذاتية بالمنهج العلمي، تلك الفكرة التي ارتبطت بمعظم التحليلات أنصار الفينومينولوجية مثل هوسرل، وإن كان شوتز سعى لجعل المنهج الفينومينولوجي هو منهج المعرفة الذي يستطيع عن طريقه تحليل مكونات الظاهرة الاجتماعية أو الظواهر الطبيعية الخارجية.

في الحقيقة أو الواقع الممثل في الظواهر الخارجية ما هي الاّ أشياء يستطيع الوعي أو العقل أن يدرسها ويكون معاني لها، ثمّ التعرف عليها بواسطة الحواس وتصبح لها شكلا ومعنى في

نفس الوقت، وبمرور الزمن تستطيع الذات الإنسانية أن تكون ما يعرف بعالم الحياه الذاتي لديها، لاسيما أن الانسان يستطيع اختزال وتحديث المعرفة التي تكونت عن طريق الخبرة.

- **عالم الحياة اليومية:**

جاءت تصورات شوتز عن عالم الحياة كمفهوم يشمل العناصر الثقافية والإطار المرجعي لعناصر الحياة الاجتماعية اليومية وتأثيرها على نسق الفكري وافراد الافعال، فبالرغم من اهتمامات شوتز بتأثير القوى الثقافية للفاعلين إلّا أنّه أعطى اهتماما ملحوظا لأهمية المستوى الثقافي ذاته، حيث اهتم بتحليل الدور الذي تقوم به العناصر الثقافية والاجتماعية في نقل أنماط القيم والسلوك خاصة تلك التي توجد في الحياة السابقة واللاحقة عن عصرنا.

حرص شوتز على تحليل عالم الحياة الذي ينتج من خلال النشاط المستمر لأفعال الأفراد والجماعة الإنسانية ومن خلال محصلة الخبرة البشرية، ويمكن الإشارة لأنماط المعرفة عند شوتز والتي اعتبرها مكونات عالم الحياة فيما يلي:

معرفه المهارات: ويعتمد هذا النوع على المهارات والسرية والخصوصية لدى الافراد.

المعرفة المفيدة: يوصف هذا النوع من المعرفة بأنّ هناك الكثير من المشكلات التي تظهر مرتبطة في مشكلات أخرى، لكنها تشمل أنماط المعرفة المكتسبة مثل ممارسة الموسيقى أو قراءة الفلسفة.

معرفه الوصفات: هذا النوع يوصف بالمعرفة العادية أي التقاليد، فكثيرا من الأحيان يقوم الانسان بإعطاء معارف لوصف أشياء معينة وذلك كرمز للتعاون مع الآخرين ولحرصه لاقتناء سلعة مثل ما يقوم به البائع تجاه المستهلكين.

العناصر المعرفية الخاصة: ويشير هذا النوع إلى أن الأفراد يحرصون على وجود معارف خاصة بهم، وذلك من أجل تميّزهم عن الآخرين، كما أنّ عملية الحصول على هذه المعرفة ترجع لوجود تميز فردي بين الأفراد، والذي يرجع الى عالم الخبرة، وهذا ما جعله يؤكد على أن كثيرا من محصلة المعرفة تتميز بطابع الخصوصية.

- **الأنماط المثالية الاجتماعية:**

لقد حرص شوتز على طرح النماذج المثالية التي يجب استخدامها من طرف عالم الاجتماع، كما يجب ان ترتبط هذه النماذج بعدد من الافتراضات الصورية العامة يمكن الاستعانة بها في مساعدة العالم الاجتماعي في بناء النماذج المثالية ذاتها، وهذا ما جعله يعرض خمسة افتراضات لتحديد المعنى الذاتي المناسب لهذه النماذج المثالية وهي:

إفتراض الصلة بالموضوع: يركز هذا الافتراض على ضرورة أن يقوم الباحث بتحديد موضوعات بحثه والمدخل المستخدم في الدراسة ذاتها.

إفتراض الدقة: ويركز هذا المبدأ على أهمية وضع الأنماط المثالية طبقا لسلوك الفاعلين في عالم الحياة اليومية.

إفتراض التناسق المنطقي: يجب أن تكون النماذج المثالية على درجه عالية من التناسق وتسلسل الافكار بصورة منطقية.

إفتراض القدرة على المقارنة: حيث يجب أن توضع النماذج بصورة تجعلها قادرة على المقارنة مع محصلة المعرفة العلمية. **(الرحمن ع.، 2006، صفحة 224)**

5- تقييم النظرية الفينومينولوجية:

لم تخرج الفينومينولوجية في تصورها للظواهر الاجتماعية عن نطاق النظريات السوسيولوجيةالكبرى، لاسيما البنائية الوظيفية مثل تركيز كل منهما على القيم والأفكار والمعرفة والمعايير باعتبارها أهم اللبنات الأساسية في تشكيل طبيعة النظام الاجتماعي، هذا ما ظهر في تفسير كل من برجر و ليكمان خاصة في تصوراتهما حول التشكيل الاجتماعي للواقع.

- جاءت تصورات أنصار الفينومينولوجية مرتبطة كليا بسوسيولوجيا المعرفة، ومن ثم فهي قد لا ترقى لمستوى النظرية بمفهومها العام ولم تقدم على الاقل منظورا متميزا لدراسة المجتمع أو النظام الاجتماعي.
- جاءت كثير من تصورات ومفاهيم النظرية مبهمة غامضة مما دل على ضعف توضيحها للمفاهيم التي استخدمتها، مثل مفهوم الحياة اليومية أو عالم الحياة والعلاقة بينهما.
- لم يبين أنصار النظرية كيفية تنظيم المعرفة أو الحصول عليها في العالم المتغير السريع الحالي، إلا عن طريق العقل والإدراك، دون الاستفادة من نتائج العلوم الطبيعية الأخرى ونظرياتها ومناهجها، فقط سعت الفينومينولوجية إلى إحياء مناهج الفلسفة العقيمة التي تم هجرها لقرون طويلة بسبب ظهور المناهج العلمية الوضعية التي انتقدتها الفينومولوجية بشدة.
- جاءت تحليلات النظرية مرتبطة بتصورات علماء الاجتماع التقليديين خاصة فيبر ودوكايم وماركس وسيمل، دون الأخذ بمحصلة الانتقادات التي وجهت لهم وبهذا تضاعفت محصله الانتقادات الموجهة للفينومينولوجية. **(عبد الله محمد عبد الرحمن،2006ص238)**

المحاضرة 15: النظرية الاثنوميتودولوجية

1- الجذور الفكرية للنظرية الاثنوميتودولوجية:

إرتبطت الاثنوميتودولوجية بصوره خاصة بالنظرية الفينومينولوجية، ويرى كثير من العلماء أنها مدخلا نظريا ومنهجيا جديدا للفينومينولوجية وهذا ما ظهر في تصورات هلموت

فاجنر، الذي يعتبر أن الاثنوميتودولوجية ما هي إلا محاولة إعادة تحديث الأفكار والمسلمات التي قامت عليها الفينومينولوجية، وبالرغم من أن تأسيس الاثنوميتودولوجية في أواخر الستينيات من القرن الماضي، لا يزال تصنف كمدخل أو منظور سوسيولوجي حديث ويخفى عليها مفهوم النظرية نظرا للأهمية الكبرى التي يعطيها لها علماء الاجتماع، وذلك في تحليلاتهم ذات الطابع النظري في السنوات الأخيرة.

كما يرى كثير من المحللين لتطور النظرية السوسيولوجية من أمثال والترولاس بأن نشأتها ترتبط بتحليلات كل من التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية، لما أحدثاه من تطور في مجال النظرية السوسيولوجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نظرا لحدوث تمرد كبير على النظريات السوسيولوجية الكبرى لا سيما البنائية الوظيفية والماركسية، وإن كانت النشأة الأولى للأثنوميتودولوجية ترتبط بالفكر الألماني بصوره خاصة، تلك الأفكار التي هاجرت من ألمانيا أثناء حكم النازية. **(عبد الله محمد عبد الرحمن،2006،ص 243)**

2- تعريف النظرية الاثنوميتودولوجية:

يتكون مصطلح Ethnomethodology من مقطعين: المقطع الأول الكلمة اليونانية «ethno» وتعني الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة والمقطع الثاني «Methodology» وتعني المنهج أو الطريقة، ومن ثم فهي تعني دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية، مما يشير إلى أن المنظور الاثنوميتودولوجي يهتم أساسا بتطوير مناهج للبحث. **(طلعت إبراهيم، كمال عبد الحميد، د ت، ص145)**

أول من دعى إلى دراسة مناشط الحياة اليومية للأفراد هو هارولد كار فينكل عام 1940 ثم سماها بشكل رسمي بمصطلح ethnomethodology ، وكان ذلك عام 1967 ثم شاع صيتها بين علماء الاجتماع وكان من متبنيها الناشطين دان زيمرمان الذي كتب فيها والسن وسند مناهجها وطروحاتها عام 1978 وتبعه طول اتكينسون الذي لمع نجمه عام 1988 كداعية لهذه النظرية. **(معن خليل عمر،2005،ص297)**

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد اتفاق حول الترجمة العربية لهذا المصطلح وقد يرجع ذلك إلى صعوبة ترجمته بعيدا عن السياق أو الإطار الفينومينولوجي وبعيدا عن الظروف والمواقف التي صاغ فيها جارفنكل هذا المصطلح، لذا فقد يكون له من المعاني ما يفوق المعنى الذي تشير إليه الترجمة اللغوية. **(طلعت ابراهيم ،كمال عبد الحميد،دت،146)**

3- منهجية الاثنوميتودولوجية عند جارفنكل:

قام جارفنكل بمحاولة جادة لخلق عملية إنتاجية مستقلة للمفاهيم النظرية والمنهجية لموضوع علم الاجتماع من أجل توفير الأساس العلمي الذي لا يمكن للبحث الامبريقي الأداة والاستمرارية بدونه.

إطار البحث هذا -Frame work- يرتكز على مفاهيم يحددها جارفنكل في التبويبات التالية:

- الاشتقاقية Indexicality: وهو خصوصية طبيعية الفعل اليومي، متنوعة حسب المناسبة، العمل اليومي هوIndexical بمعنى أنه مشتق من إتقان التنظيم الاجتماعي وموجه إليه.
- التأمل الانعكاسي Reflexility : والمقصود به الكيفية التي يتعامل بها أعضاء المجتمع مع الواقع facturalorder
- طرق الأعضاء Membersmethod's: أي الوسائل المتعارف عليها من قبل الأعضاء داخل نسق التعامل الاجتماعي. **(فاديه عمر الجولاني،2009،ص23)**

كما طرح جارفينكل مجموعة افتراضات أو مسلمات عامه حول الاثنوميتودولوجية وهي:

- افتراض وجود نظام أخلاقي وهو البناء الاجتماعي وما فيه من قيم ومعايير ويعتبر أحد الموضوعات الرئيسية لعلم الاجتماع.
- ضرورة قبول جميع أعضاء المجتمع لأنهم المشاركين في أنشطته المختلفة من خلال حياتهم اليومية.
- ترتبط جميع التنظيمات في المجتمع بالنظام الأخلاقي الذي يعتبر الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.
- ضرورة توجيه الأفراد سلوكهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي حتى يمكن فهم حصيلة أنشطتهم ويبرر تبريرا عقلانيا بواسطتهم أيضا.
- تعتبر عملية التفسير العقلاني مرتبطة بمجال فهم السلوك البشري وبالتالي فكل بناء اجتماعي قادر على تنظيم ذاته من خلال المواقف الاجتماعية التي يضفي عليها الأعضاء الطابع العقلاني.
- يتميز كل من التنظيم الاجتماعي والأخلاقي بالتغير المستمر خاصة أن كل منهما إنما يتحقق من خلال عمليات التفاعل الديناميكية.
- تعتبر العملية التنظيمية جوهر الحقيقة الاجتماعية، كما تم توضيح ذلك بواسطة علم الاجتماع التقليدي والمعاصر.
- عملية التعقل للأفعال والمواقف تتكون من مجموعة من العناصر المتميزة والتصنيف والمقارنة والدقة، مع البحث عن البدائل وتحليل النتائج وغير ذلك من ميكانيزمات يمكن من خلالها فهم عملية العقلانية بصورة عامة كما تحدث في النشاط اليومي أو الحياتي الاجتماعي. **(عبد الله محمد عبد الرحمن 2006 ص 249)**

4- المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميتودولوجية:

يشير مصطلح الايثوميتودولوجي إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة في صياغه وتشكيل الحقيقة الاجتماعية في حياتهم اليومية، لذلك من الضروري توضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية، وفي هذا الصدد قام جارفنكل وزملائه بإجراء

بعض الدراسات الامبريقية التي تكشف المناهج المختلفة التي يمكن أن يستعين بها الباحث لكي ينفذ الى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث.

ويمكن تصنيف هذه الدراسات إلى ثلاثة نماذج، يتمثل النموذج الأول في تلك الدراسات التي تهدف إلى اكتساب المعرفة الاجتماعية والثقافية، والنموذج الثاني في الدراسات التي تحاول التعرف على القواعد العامة التي يقوم بها الناس بهدف انماط السلوك وتفسير كيفية نشأة النظام الاجتماعي العام، والنموذج الثالث يتمثل في تلك الدراسات الهامة التي تحاول التعرف على الطرق التي يتبعها الناس للحكم على أنشطة أقرانهم بأنّها مقبولة ومفهومة.

كما انتقد اصحاب المنظور الايثنوميتودولوجي طرق وأدوات البحث المستخدمة حاليا في علم الاجتماع مثل المسح الاجتماعي والمقابلات والاستبيان لأنها تفصل بين الباحث وموضوع دراسته وتتضمن معرفه سابقه بالواقع، بالإضافة الى ان موقف التفاعل بين الباحث والمبحوث يؤثر على حجم ونوعيه البيانات التي يتم الحصول عليها.

يرى أصحاب هذا المنظور أنه يمكن استخدام طريقة الملاحظة بالمشاركة كما يستخدمها أصحاب منظور التفاعلية الرمزية، بالإضافة إلى استخدام بعض المناهج مثل المنهج شبه التجريبي الذي يطلق عليه التجربة الاثنوميثودولوجية والمنهج الآخر الذي يطلق عليه جارفنكل المنهج التوثيقي، حيث يرى أن هذا المنهج يستخدمه كل من الباحث والأفراد العاديين في تفسير سلوكهم أثناء تفاعلهم في المواقف المختلفة بالحياة اليومية، كما يوصي هانز بيتر دريتزل وهو أحد العلماء الذين تبنوا المنظور الاثنوميتولوجي بأن يقوم علماء الاجتماع باستخدام المنهج التوثيقي نظرا لأن هذا المنهج يمكنهم من فهم المعاني والدلالات التي تتضمنها عمليه التفاعل.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن هذا المنظور يختلف عن النظريات التقليدية في علم الاجتماع، من حيث أنّه لا يهدف اساسا الى تفسير السلوك البشري والتعرف على حقيقة اجتماعيه معينه، بل أنّه يهتم اساسا بالكشف عن المنهج او الطرق التي يستخدمها الناس في تشكيل الواقع الاجتماعي والمحافظة عليه، مما يشير الى ان المنظور الايثوميثودولوجي قد ساهم في تطور مناهج البحث أكثر مما ساهم في تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة. **(لطفي، دت، صفحة 153)**

5- تقييم النظرية الاثنوميتودولوجية:

لقد أحدثت النظرية الاثنوميتودولوجية تطورا كبيرا في مجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة والدراسات الامبريقية، وبالتالي تطوير علم الاجتماع التقليدي وجعله علما تطبيقيا AppliedSociology.

ومن ناحية أخرى أن جذورها الفكرية جاءت نتيجة لسببين رئيسيين هما:- الأزمات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية التي اجتاحت العالم خاصه بعد الحرب العالمية الثانية وتفاقمت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي (العشرين)، و أزمة العلم بالأخص العلوم الاجتماعية وعقم المناهج البحثية والتصورات النظرية.

وعلى الرقم مما ساهمت به الاثنوميتودولوجية إلا أنها واجهت العديد من الانتقادات تمثلت فيما يلي:

- ركزت مثل الفينومينولوجية على ظواهر وقضايا صغيره واعتمدت على مستويات تحليل سوسيولوجي صغرى MicroSociologyAnalysis.
- انتقدت الاثنوميتودولوجية علم الاجتماع التقليدي بشده سواء على مستوى المفاهيم أو أساليب البحث لاعتماده على البيانات والمداخل الكمية فقط دون الكيفية، ومع ذلك لم تستطيع وضع مقاييس بحثية خاصة بها جديدة كما جاءت معظم تصوراتها وتحليلاتها غير واضحة وغير دقيقة.
- جاءت أفكار الميتوديولوجية منقسمة بين تيارين أساسيين أولهما ركز على دراسة الموقف Sitution، والثاني ركز على دراسة اللغه language مما جعل معظم تحليلات هذه النظرية مرتبط بفلسفة اللغة أكثر من ارتباطها بعلم الاجتماع.
- جعلت الاثنوميتودولوجية من علماء الاجتماع باحثين متآمرين ضد الواقع الاجتماعي مما جعلها تسعى إلى خلق عالم اجتماع آخر بالنسبة لها يهتم فعلا بدراسة النظام الاجتماعي الواقعي.
- جاء تحليلات جارفنكل غامضة في اعتمادها على وضع منهج إثنوميتودولوجي خاص به، مثل ما طرحه في التوقعات الكامنة وأساليب الفهرسة وخاصية الرؤى البشرية اليقينية...**(عبد الله محمد عبد الرحمن ،2006 ،ص 268 -271)**

المحاضرة 16: النظرية البنيوية

أولا: الأسس المعرفية والواقعية للنظرية البنيوية

يرى بعض المنظرين بتاريخ النظرية السوسيولوجية أن البنيوية ترتبط بصورة كبيرة بالنظرية الماركسية التقليدية، حيث ظهرت البنيوية بعد الانتقادات الكبيرة لهذه النظرية من خلال تحليلات مجموعة من العلماء والمثقفين والباحثين الأوروبيين والأمريكيين الذين اهتموا بدراسة آراء ماركس حول الطبقات الاجتماعية، وما أسماه بالبناءات التحتية.

كما هاجم الكثير منهم فكرة الحتمية الاقتصادية كعامل اوحد قامت عليه الماركسية كنظرية دون الاهتمام بالعوامل الثقافية والفكرية التي توجد في المجتمع، وهذا بالرغم من اعتراف ماركس والماركسيين بأهمية العلاقة المتداخلة بين العوامل والظروف المادية والثقافية، وهذا ما ظهر في تحليلاتهم حول المادية التاريخية.

لقد أسهمت تحليلات هذه المجموعة من العلماء والكثير من الباحثين الأوروبيين والأمريكيين الذين عرفوا بعد ذلك بأنصار البنيوية حاولت أن تركز على النسق الثقافي والمدني، باعتبارها من الأنساق والعوامل التي تلعب أدوارا أساسية في تشكيل المجتمعات الحديثة، سواء الرأسمالية أو الاشتراكية، وعدم الاهتمام فقط بمجموعة العوامل الاقتصادية في تشكيلها لبناءات هذه المجتمعات.

يرى ايان كريب أن ظهور النظرية البنيوية من الناحية العقلية بدأ مع منتصف القرن20 ، إلا أن الجذور التاريخية لها ترجع إلى البدايات الأولى من ذات القرن، فالماركسية البنيوية جاءت كرد فعل للأيديولوجيات الماركسية التقليدية، التي ركّزت على العوامل الاقتصادية دون الاهتمام بطبيعة تكوين البناءات الاجتماعية وتطويرها وما يرتبط بها من الأفعال والسلوكيات والطموح والإلهامات البشرية.

ومن ثم البنيوية جاءت لإعادة تحليل وتقييم مجموعة أفعالنا وإعادة تحليل وتفسير البناءات الاجتماعية والاقتصادية، وما يرتبط بها أيضا من بناءات ثقافية ومعرفية تجاهلتها تماما الماركسية التقليدية، ولعلى الانتقاد الأساسي الذي وجه إلى هذه النظرية الأخيرة هو عجزها عن تناول وتحليل الفعل الاجتماعي، وإن كانت حرصت على الاعتراف بالعوامل المفسرة لهذا الفعل الاجتماعي لكنها لم تعترف بوجودها في تحليل البناءات الاجتماعية بصورة عامة.

إن اسهامات أنصار البنيوية جاءت لتفسر الواقع الحديث عن طريق تركيزها على مجموعة العوامل الثقافية والمعرفية والسياسية والاقتصادية في نفس الوقت، كمحاولة منها لوضع نظرية سوسيولوجية تفسر هذه العوامل وطرح بدائل نظرية وأطر مرجعية للماركسية البنيوية.

(الرحمن، 2006، صفحة 127)

ثانيا: إسهامات رواد النظرية البنيوية

1- لوكاش والوعي الطبقي :جاءت النظرية البنيوية بعدد من الرواد الذين ينتمون إلى

العديد من الدول الأوروبية مما أدى إلى إطلاق اسم الماركسية او الشيوعية الأوروبية على البنيوية، ويعد المفكر المجري جورج لوكاتش أحد المفكرين المركزيين الذين أيدوا الماركسية كنظرية ومنهج وأسلوب في الحياة وإيديولوجية شيوعية وهذا ما جاء في سلسلة أعمال لوكاتش التي انتقد فيها النظريات الوضعية.

لم تكن أعمال لوكاتش المبكرة مرتبطة بالماركسية كإديولوجية عالمية بقدر ما جاءت اهتماماته لتشمل الأدب والفن والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع، لكن بعد الحرب العالمية الأولى تبنى لوكاتش الماركسية وانضم إليها مع مجموعة من علماء الشبان الألمان وركّزت المجموعة اهتمامها على دراسة مشاكل الديمقراطية والثقافة.

التحق بالحزب الشيوعي بعد تأسيسه عام 1918 وبعد ذلك ركّز جهوده على كتابه عدد من المقالات التي اهتمت بتحليل الماركسية والرأسمالية البرجوازية.

جاءت معظم كتابات لوكاتش المبكرة غير مهتمة بتحليل النظرية السوسيولوجية عامة بقدر ما كانت مهتمة كثيرا بالنقد الأدبي، حاول لوكاتش أن يحلل كل من معنى التاريخ والكلية الاجتماعية من خلال تفسيرها ليس في إطار البناء المادي للنظام الرأسمالي ولكن من خلال فهم طبيعة التطور التاريخي الذي يرتبط بالتقدم الذي حدث لحركة الطبقة العاملة.

بالرغم من الانتقادات التي وجهت الى لوكاش حول كتابه التاريخ والوعي الطبقي من جانب الماركسيين أنفسهم لاعتباره خروجا عن المبادئ والمسلمات الماركسية، إلاّ أن لوكاتش حاول في نفس الوقت أن يظهر الماركسية ليس باعتبارها إيديولوجية متقدمة ومنهج للتفكير والتحليل فقط بقدر ما هي ممارسة ثورية يكون الفرد ذاته عنصرا هاما وليس مادة لفهم العملية المادية التاريخية.
جاءت معظم كتابات لوكاتش المبكرة مهتمة بالنقد الأدبي وجاء كثير منها لتعالج تاريخ الرواية أما كتابه المميز التاريخ والوعي الطبقي فقد ارتبط كثيرا بالدراسات الابستمولوجيا خاصة نظرية المعرفة.

حاول لوكاتش أن يحلل كل من معنى التاريخ والكلية الاجتماعية من خلال تفسيرها ليس في إطار البناء المادي للنظام الرأسمالي، ولكن من خلال فهم طبيعة التطور التاريخي الذي يرتبط بالتقدم الذي حدث لحركة الطبقة العاملة.

بالرغم من الانتقادات التي وجهت الى لوكاتش حول كتابه التاريخ والواعي الطبقي من جانب الماركسيين أنفسهم باعتباره نوعا من الخروج عن المبادئ والمسلمات الماركسية، إلّا أن لوكاتش حاول في نفس الوقت أن يظهر الماركسية ليس فقط باعتبارها إيديولوجية ومنهج للتفكير والتحليل بقدر ما هي ممارسة ثورية يكون الفرد ذاته عنصرا هاما وليس مادة لفهم العملية المادية التاريخية.

تكمن إسهامات لوكاتش في النظرية الاجتماعية عندما اهتم بمعالجة قضايا هامة مثل الاغتراب والتشيؤ باعتبارها أهم العناصر التي تسهم في عملية تكوين الوعي.

2- جرامش والزعامة السياسية والثقافية:

تكمن أهمية إسهامات المفكر الايطالي انطونيو جرامش في إعادة تحليل الأفكار الماركسية التقليدية كما تعكس وجهة نظر الماركسية الأوروبية التي ظهرت خلال العقود الأولى من القرن.20
حرس جرامش على إبراز أهمية الصراع حول الافكار واعتباره عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية مثل المصالح الاقتصادية.

كما حرص لوكاتش على تحليل الماركسية باعتبارها علما ومنهجا ونظرية اجتماعية، حرص جرامش على أن يعطي دورا أساسيا إلى النسق المعرفي كمصدر أساسي يمكن مناهضة الرأسمالية عن طريقه خاصة أن هذا النسق يشكل حاليا السيطرة أو الزعامة الرأسمالية، ومفهوم الزعامة كما حدّده جرامش هو مجموعة الأنشطة الفكرية والثقافية التي لا تعمل فقط كوظيفة للمتغيرات الاقتصادية ولكنها تعمل لخلق مجال جديد للصراع الاجتماعي والسيطرة والمقاومة علاوة على ذلك أن صراع الأفكار يعتبر جزءا هاما في النظام العام للصراع.

من خلال تبني جرامش لمفهوم الزعامة حاول تفسير دور الطبقة العمالية وقدرتها على أن تصبح طبقة ذات نفوذ وزعامة وسيطرة وذلك عن طريق خلق نوع من التحالف الذي يسمح لها بتعبئة الغالبية العظمى من الفئات العمالية لمواجهة الرأسمالية والدولة البرجوازية، فالزعامة ما هي إلا تركيب معين متحالف بين القوى والقيادات السياسية والفكرية والروحية التي تؤهل الطبقة إلى تجاوز مرحلة الدفاع عن مصالحها للوصول إلى مرحلة الاتحاد والتوجيه لكل طبقات الاجتماعية الأخرى.

في إطار تحليل مميز تناول جرامش طبقة المثقفين التي تعد من أهم الاسهامات في مجال علم الاجتماع الحديث، وهذا ما أكد عليه للدور الفعال للمثقفين في تكوين وبناء الايديولوجيات وظهور الزعامة السياسية لطبقات الاجتماعية العمالية، كما تظهر وظائف أخرى للمثقفين ممثلة في دوره دعم عناصر التماسك الاجتماعي وهذا ما جعله يعرف المثقفين بأنهم من يقومون بمجموعة من المهام داخل مجال الانتاج والثقافة والإدارة العامة.

يرى بعض المحللين لآراء جرامش أنّه سعى لتحليل الدور الوظيفي للمثقفين باعتبارهم يقومون بوظائف التنظيم داخل مؤسسات العمل والانتاج والثقافة والإدارة العامة، وهذا التصور يختلف نسبيا عن تصور باريتو حول الصفوة.

3- الثوسير والبنيوية والفعل الانساني:

ترتبط النظرية البنيوية بإسهامات الفيلسوف والمفكر الاجتماعي الفرنسي ليوس الثوسير، كما تنتمي تحليلاته إلى تبني الاتجاه النقدي لتحليل الماركسية التقليدية، وتتميز كتاباته بالغزارة والتنوع التي لا تزال تتري تطور البنيوية والنظرية السوسيولوجية عموما.

واهم القضايا التي طرحها في هذا الصدد هي:

- النظرية العلمية والنظرية الاجتماعية.
- البنيوية والفعل الإنساني
- نمط الانتاج.
- نظرية إعادة الانتاج الثقافي.

حرص الثوسير على طرح نظرية خاصة تبرز مكانتها بين نظريات الاجتماعية والسوسيولوجية، كما حاول ان يطرح تصوراته حول النظرية الاجتماعية العلمية من خلال إعادة تحليله للنظرية الماركسية والوظيفية، باعتبارها من النظريات العلمية التي سيطرت على الفكر الانساني خلال القرنين الماضيين، كما حاول أن يؤكد على عدد من المعايير التي من شأنها أن تعزز النظرية الاجتماعية ودورها في تحديد رؤيتنا للعالم الخارجي الواقعي.

وهذا ما جعله يؤكد على وجود كل من البناءات الاجتماعية والمفاهيم التي تعكس لنا بوضوح طبيعة كل من الموضوعات النظرية الخالصة من ناحية وكيفية تفسير النظرية العلمية للواقع الخارجي من ناحية أخرى.

سعى الثوسير لتوضيح تصوراته عن النظرية العلمية ونظرية السوسيولوجية البنيوية التي ينتمي إليها عن طريق طرحه لعدد من الأفكار التي تمثلت في فكرتي الممارسة والبناء وذلك في محاولة منه لطرح نموذج عن التنظيم أو البناء الاجتماعي بصورة أساسية.

تناول الثوسير مفهوم الممارسة للإشارة للفعل الاجتماعي أي الانسان لما يلعبه هذا المفهوم من بلوره نظريته بصورة عامة، حيث تصور وجود مماثلة بين الممارسة أو الفعل الانساني وبين الممارسة الاقتصادية، التي يقصد بها الفعل الذي يقوم بإنتاج شيء من شيء اخر، وتشمل العملية الاقتصادية ثلاث عناصر هي المادة الخام ووسائل الانتاج والبضاعة المنتجة. ومن أهم الممارسات الفرعية التي تندرج تحت ممارسة الفعل الانساني هي الممارسة السياسية والمماثلة الإيديولوجية والممارسة النظرية والممارسة الفنية.

على غرار ما طرحه ماركس لأنماط الانتاج وعلاقتها بأنواع المجتمعات البشرية وتطورها حسب هذه الأنماط سعى الثوسير لإعادة تحليل هذا الطرح في صورة جديدة.

حاول أن يعقد تميزا بين أنماط المجتمع المختلفة في إطار تحليله لأنماط الانتاج بها وهي المجتمعات الإقطاعية والمجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الإنتاجية الانتقالية والمجتمعات الاشتراكية.

حاول الثوسير أن يناقش نظريته حول إعادة إنتاج قوة العمل من خلال أهمية الدور التعليمي والتربوي الذي يهدف إلى تخريج مجموعة من المهارات والكوادر المهنية المختلفة، والتي تسعى كل منها الى تقبل الوضع المهني لها والأجيال القادمة المستقبلية.

4- بولانتزاس والسياسة والايديولوجيا : تعكس طبيعة النشأة الاجتماعية والأكاديمية

للمفكر اليوناني نيكولا بولنداس بالإضافة لمجموعة الظروف الإيديولوجية مدى التنوع الفكري لتحليلاته حول البنيوية، باعتبارها إحدى النظريات السوسيولوجية التي حاولت إعادة تحليل الماركسية التقليدية، فقد اهتم منذ تعليمه الأساسي بالدراسات الفلسفية والسياسية والقانونية، حتى أصبح في الستينيات والسبعينيات من أهم المفكرين الماركسيين ونشطاء السياسيين وله العديد من المؤلفات التي تدور حول الطبقة الاجتماعية والقوة السياسية، ويمكن معالجة أهم إسهاماته في هذه النظرية في نقطتين أساسيتين هما:

الطبقات الاجتماعية.

الدولة والسياسة والايديولوجيا.

جاءت اسهامات بولنتزاس حول الطبقات الاجتماعية كغيره من أنصار البنيوية الماركسية التي سعت لإعادة تحليل آراء تقليدية حول صراع الطبقي، وإن كان بولانتزاس لم يهدف إلى وضع نظرية عن الطبقات الاجتماعية بقدر ما ركز على الفكر الماركسي التقليدي ورؤيته للطبقات في المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية قد ارتبطت كثيرا بالتصورات المثالية من ناحية، وتأكيد ماركس على أهمية الدولة الاقتصادية باعتبارها العامل الوحيد الذي يؤدي إلى تشكيل البناء الطبقي في المجتمعات الحديثة من ناحية أخرى.

لقد جاءت آراء البنيوية التي تبنت المنظور النقدي والتي رأت أن العوامل الذاتية الى جانب العوامل الاقتصادية تلعب دورا أساسيا في تكوين الطبقات الاجتماعية، وحاول أن يفسر هذه العوامل الذاتية والتي تشمل العوامل الاجتماعية بالإضافة الى مجموعة العوامل الفردية ويقصد بهذه الأخيرة الدوافع التي تحكم السلوك الفردي والاتجاهات والقيم التي تؤثر بالضرورة في تكوين الوعي الطبقي.

ترتبط تحليلات بولنتزاس حول الطبقات الاجتماعية بكتاباته عن الدولة والسياسة والايديولوجيا، فلقد ظهرت أفكاره حول الطبقات الاجتماعية موضحة نوعية الايديولوجيا والنظام الاقتصادي والسياسي، وهذا ما يعكس عموما مدى حس البنيوية على تكوين الفكر الماركسي التقليدي الذي حاول تفسير تلك القضايا في إطار العوامل الاقتصادية.

كما اشتغل بولنتزاس بمجموعة التناقضات البنائية التي توجد في المجتمع الرأسمالي والذي اهتم بتحليله من الناحية النظرية والواقعية عندما عاش في فرنسا قرابة عقدين من الزمن، فلقد تصور أن جملة التناقضات تكمن في الظواهر الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية كما حاول أن يناقش قضية الايديولوجيا وعلاقتها بالفئات الاجتماعية التي تتكون منها الطبقات الرأسمالية وهذا ما ظهر في تحليله لكل من البرجوازية الصغيرة الجديدة وأيضا فئة المهنيين مثل الموظفين والأطباء والمحامين محاولا تفسير ما قد تختلف الانتماءات الأيدولوجية الطبقية لهذه الفئات التي تندرج تحت طبقة واحدة حسب المفهوم الماركسي التقليدي.

علاوة على ذلك حرس بولنتزاس على تقسيم العناصر الثلاث المتداخلة في مكونات المجتمع الرأسمالي وهي تتمثل في:

العلاقة بين الدولة والايديولوجيا.

العلاقة بين الايديولوجيا والاقتصاد.

علاقة الدولة بالاقتصاد. **(الرحمن ع.، 2006، الصفحات 131-157)**

ثالثا: أهم الانتقادات الموجهة للنظرية البنيوية

- جاءت آراء البنيوية مرتبطة بالعديد من القيم الإيديولوجية السياسية والتاريخية على سبيل المثال آراء الثوسير، كما حاولت أن تبني لها تاريخا خاصا بها بعيدا عن تاريخ البشرية، كما جاءت مليئة بالتناقضات في تحليلاتها.
- تنتقد البنيوية أو الماركسية الأوروبية لأنها فقدت الرؤى الواقعية عند تفسيرها للعديد من الظواهر او المشكلات التي تمت معالجتها بما فيها أفكار الماركسية التقليدية.
- حرصت البنيوية في انتقادها لكل من الماركسية والبنائية الوظيفية وغيرها أن تتبنى النزعة العلمية وهذا ما جعل البعض يصفها بأنها نظرية ديجوماتية(تدور حول

معتقدات او مبادئ معينة) كما أنها حاولت أن تبرز كل من الحقائق الكامنة والظاهرة بصورة بعيدة عن الواقع التاريخي ذاته.

- تعرضت البنيوية لانتقادات أخرى لأنّها فقدت كثيرا من مصداقيتها وفاعليتها ورؤيتها العامة لاسيما عند تحليلها لكل من الفاعل والوعي.
- اهتمت البنيوية كثيرا بالتحليلات النظرية الخالصة وذلك عند محاولتها لإعادة تفسير الفكر الماركسي لكنها لم تتبنى التحقيق من هذه التحليلات عن طريق اجراء البحث الميداني، وهذا ما أفقدها الكثير من قيمتها كنظرية سوسيولوجية مقارنه بالنظرية الماركسية التقليدية.
- انتقدت البنيوية كنظرية اجتماعية لأنّها حرصت على ضرورة التأكيد على عدد من المقولات أو المبادئ بصورة حتمية وهذا ما جعلها توصف بالنظرية البنائية الحتمية.

(الرحمن، 2006، صفحة 161)

المحاضرة17: نظرية ما بعد البنيوية

أولا: الجذور الفكرية للنظرية ما بعد البنيوية

الجذور الفلسفية:

اهتم عدد كبير من رواد ما بعد البنيوية بدراسة أفكار عدد من الفلاسفة بدءا من التحليلات الفلسفية الإغريقية عند أفلاطون وأرسطو وسقراط حتى تحليلات كانط وهيغل، وغيرهم من أنصار الفلسفات المثالية التي مهدت عموما لقيام عصر التنوير في أوروبا.

الجذور الثقافية:

جاءت آراء نظرية ما بعد البنيوية التي اتخذت من الأفكار الفلسفية والشكية عند نيتشه وماركس وغيرهم من رواد الفكر الفلسفي السياسي، والتي حاولت إعادة تقييم طبيعة التأثير الذي تركته الحضارة الغربية على العقل الانساني، لا سيما بعد أن تم تشكيل الثقافة وأصبحت تشكل فقط

من قبل مصدر ومنتج واحد، وهم أصحاب الطبقات العقلية العليا، والتي لا ترتبط بأي شكل من أشكال الطبقات الدنيا.

الجذور الفكرية:

من ناحية أخرى استمدت نظرية ما بعد البنيوية تصوراتها من التحليلات التقليدية التي تركتها النظرية البنيوية، لا سيما أفكار الثوسير، والتي حاولت أن تركز على أنساق المعنى والاشارات، دون تفسير كيفية الضبط والسيطرة على استخدام اللغة، وما تحمله من إشارات ومعاني، وهذا ما جاء في انتقاد أنصار ما بعد البنيوية لنظرية اللغوية التقليدية، أو ما يسمون بأنصار النزعة التمثيلية.

الجذور السياسية:

يرى ايان كريب أن اتجاه ما بعد البنيوية قد ظهر بصورة عامة نتيجة لبعض الظروف السياسية التي ظهرت في فرنسا خاصة بعد عام1968 ، حيث اخفقت الأعمال المرتبطة بدور الحزب الشيوعي فرنسي، وظهرت منظمات يسارية جديدة تبنت الأفكار اليسارية وحملت على زيادة الحركة النقدية على الماركسية، وانتقدت الطبيعة التسلطية التي قامت عليها الأحزاب الشيوعية.

ثانيا: القضايا الأساسية لنظرية ما بعد البنيوية

- ضرورة إعادة تقييم التراث الحضاري الغربي الذي جاء بعد عصر التنوير، والذي يؤدي الى تحقيق نتائج ايجابية لنضوج العقل الانساني بصورة عامة.
- ان طبقات الفنية أو القوية وما يعرف بالطبقات التي تمتلك أيضا المعرفة والقوة قادرة على تزييف الوعي الفردي، وأن تملك جميع عناصر الثقافة وتشكيلها بصورة مستمرة، وتعمل على جعل الطبقات الفقيرة تمتثل لها في صورة مختلفة من الطاعة والخضوع والامتثال التام.
- شككت الأفكار وآراء رواد نظرية ما بعد البنيوية في اعتماد الحضارة الغربية الرأسمالية على الأساليب العلمية التي استندت اليها، لأنها تقوم على النزعة العلمية الكاملة دون إعطاء الفرصة للعقل والتفسير.
- استمدت نظرية ما بعد البنيوية أفكارها من أفكار عدد من الفلاسفة وخاصة تصورات نيتشه الذي يوصف بمؤسس البنيوية الفلسفية، إضافة إلى أفكار هيجل وماركس، خاصة تصورات هذا الأخير حول الطبقة والسيطرة الطبقية في المجتمع الرأسمالي.
- تسعى نظرية ما بعد البنيوية لإعادة تحليل الفكر الماركسي الأصلي، ولا سيما بعد أن خيبت أعمالها النزعات الماركسية المحدثة، التي ساعدت لتطبيق الماركسية من الناحية الشكلية وليس المضمون، وهذا ما جاء في انتقاد نظرية ما بعد البنيوية للأحزاب السياسية الشيوعية الغربية.

- تهدف نظرية ما بعد البنيوية إعادة تفسير آراء رواد البنيوية الأوائل، وطبيعة أفكار الثوسير، حول الانتاج الثقافي، وتحليل المعاني والرموز وانتقاء استغلال النص اللغوي بصوره إيديولوجية وتزييفها للوعي والعقل الانساني في المجتمع الحديث. **(الرحمن، 2006، الصفحات 333-336)**

ثالثا: إسهامات رواد نظرية ما بعد البنيوية

1- ميشال فوكو والبنيوية الثقافية:

جاءت آراء المفكر الفرنسي ميشيل فوكو مثل غيره من رواد ما بعد البنيوية التي يصنف جزء كبيرا منها تحت تحليلات النظرية البنيوية الكلاسيكية، ولكن تصوراته الأخيرة تصنف على أنها تحليلات ما بعد البنيوية، وفي الواقع أن اراء فوكو جاءت معظمها مندرجة تحت ما يمكن أن نسميه بتحليلات عالم الفكر الانساني الذي يشمل عناصر وأفكار تأملية متنوعة، وهذا ما تعكسه اهتماماته الأولى كأحد الباحثين التاريخيين والمهتمين بالتغيرات التي حدثت على نسق وبناءات المعرفة وتصنيفها في المجتمعات البشرية خاصة خلال المجتمعات الحديثة.

يرى الكثير من المحللين أن تصورات فوكو ترتبط بتحليلات البنيوية مثل كتابه الجنون والحضارة واركيولوجيا المعرفة جاءت هذه المؤلفات لتعكس مدى الاهتمام بدراسة التغيرات الجوهرية التي حدثت على أنماط الفكر في أوروبا الغربية، في الفترات السابقة على المجتمع الحديث، كما اهتمت أفكار فوكو في هذه الفترة بدراسة طبيعة كيفية تطور وحدوث عمليات الفكر الانساني خلال مراحل التحول للمجتمعات الرأسمالية، وكيف اهتم العقل الانساني بدراسة العلاقات المتداخلة بين الأشياء في العالم الحديث، هذا التصور التحليلي عند فوكو يمثل الكثير من تحليلات علماء الاجتماع.

وخير مثال على اهتمامات فوكو هو كتابه الأول تاريخ الجنون الذي يعد محاولة لأبستمولوجيا المرض والجنون، حيث حاول فوكو ان يحلل طبيعة الثقافة الأوروبية من وجهة نظر فلسفية ومعرفيه وثقافية وطبيعية في نفس الوقت، فيتساءل عن أسباب تفسير العالم الغربي أو الثقافة الغربية ووصفها للجنون بالمرض، وهذا ما يجيب عليه أولا بكيفية انتهاء الأمر بالثقافة الأوروبية ونظرتها للمرض بمعنى الانحراف والنظرة الى المريض ومحاوله استبعاده من المجتمع، وثانيا كيف سعى المجتمع الغربي ليعبر عن ذاته وعن الصورة المرضية التي وصل اليها ورفضه للاعتراف بهذا.

والواقع ان فوكو حاول ان ينظر الى الثقافة الغربية على انها حاله مرضيه او جنون، لا سيما ان المجتمع الغربي لا تتوافر فيه سمه العقلانية او السعي للتحقق منها، وإنّما يحرص هذا المجتمع على انكار كل ما لا يخضع له أو يخرج عن قواعده العامة ونطاقه الخاص، ولعلى

هذا السبب هو الذي حرص فيه فوكو على دراسة المرض العقلي ومحاولته تشخيص ما وصل اليه المجتمع الغربي وثقافته بصورة عامة.

2- دريدا ونظرية المعاني:

يعتبر جاك دريدا من علماء نظرية ما بعد البنيوية الذين ركزوا على اللغة بالرغم من انتمائهم الفلسفية واعتباره من أهم الفلاسفة الذين وجدوا في اللغة والنقد الأدبي، اتجاها فكريا ونظريا هاما يمكن من خلاله ان يدرس طبيعة العالم الحديث، رفض دريدا النزع التمثيلية التي حاولت ان تجعل من نظرية اللغة التقليدية نقطة اهتمامها الأساسية والتي تحاول ان تربط اللغة بالإيديولوجيا المسيطرة واعتبارها ميكانيزم للتحكم في الطبقات الفقيرة أو المحرومة في المجتمع.

لهذا السبب حرص دريدا ذو التوجه السياسي الماركسي الجديد للدعوة الى العودة لأفكار ماركس الأصلية لاسيما بعد ان انحرفت التيارات السياسية والنزعات الماركسية المحدثة ومنها البنيوية الأوروبية عن تطبيق هذه الأفكار، ومحاولة تحويرها لتتلاءم مع الايديولوجيات المسيطرة، سواء كانت الدول الغربية كما حدث في فرنسا خلال السبعينيات ممثلة في الأحزاب الشيوعية بها وفي المجتمعات الاشتراكية في نفس الوقت.

حرص دريدا على استخدام اللغة لاسيما المعنى في توجيه افكاره من أنصار ما بعد البنيوية، وتتلخص الفكرة الأساسية لهذه النظرية إلى أن المعنى لا يأتي بحال من الأحوال عن طريق العلاقة بشيء ما خارجا عن اللغة، فلا يوجد على الاطلاق اي شيء ممكن البحث عنه ليضمن لنا المعنى، حيث لا يوجد ضابط او رقيب او مسيطر يلعب هذا الدور، اي لا يوجد لمدلول متعال، وبمعنى آخر أن المعنى لا يمكن أن يكون حاضرا أبدا ولكنه موجود في مكان آخر.

وبالطبع إن أفكار دريدا فلسفية من الدرجة الأولى حيث يحدثنا عن الوجود واللاوجود وغير ذلك من مقولات فلسفية تسعى لإخفاء المعنى وابعادنا عن اللغة، تلك الفكرة التي وجدت جذورها في النظرية البنيوية، التي تؤكد على ان معنى كل كلمة من الكلمات تعتمد بدورها على تلك الكلمة وعلاقتها بكلمات اخرى.

ان اراء دريدا وفكرة المعاني جاءت مرتبطة بالأفكار البنيوية التي ساعدت لتحليل العلاقة بين المعنى والكلمة أو المفردة وليس بسبب وجود صفات كاملة في الكلمة او المفردة ذاتها.

3- بارت والثقافة والنقد الادبي:

يعتبر رولان بارت أحد رواد المدرسة الفرنسية التي تبنت التحليلات البنيوية وما بعد البنيوية، وهذا ما يوجد في كتاباته المبكرة التي تعتبر جزء من البنيوية، أما تحليلاته الحديثة فهي تندرج تحت اسهامات نظرية ما بعد البنيوية.

ركز التحليلات بارت على دراسة الأدب واللغة والمعنى محاولا تقييم اسهامات علماء الأدب واللغة التقليديين، وهذا ما جعل بارت يسعى لدراسة اللغة وإيديولوجية اللغة وتأثيراتها في صورة خاصة في المجتمع الفرنسي، كما اهتم بتحليل المعاني واللغة بين الطبقات البرجوازية الفرنسية الرأسمالية، وحاول أن يوضح أن هذه الطبقات تعتبر أسيرة العلم التقليدي وإيديولوجية اللغة التي ظهرت نتيجة عمليات تنظيم المجتمع الرأسمالي، الناتج عن مراحل التحول فيما بعد عصر النهضة او ما يسمى بالمرحلة السابقة عن ظهور المجتمعات الحديثة.

حاول بارت ان يستخدم الكثير من المفاهيم التي ترتبط بتربية الذوق والحس النقدي الادبي ، والتي أطلق عليها مفهوم jouissance والذي يعني السعادة والهناء أو الغبطة التي يشعر بها الانسان الذي يتمتع بهذه الفروق أو الاحاسيس، والذي يختلف تماما عن الخبرة العقلية التي يتمتع بها الأفراد عند تحليلهم للأدب او الثقافة عامة.

4-هيرست ومجال الفعل الاجتماعي:

تمثل تحليلات بول هريست الاتجاه البريطاني المعاصر في نظريه ما بعد البنيوية ولا سيما ان معظم كتابات هذه النظرية سيطرت عليها اسهامات المدرسة الفرنسية، شأنها شأن النظرية البنيوية، وان كانت اراء هيرست جاءت مشاركة مع زميله هندس فقد حاول ان يطرح تصوراتهما في اطار جديد من الأفكار التي تحاول ان تخرج بعيدا الى حد ما عن سيطرة التحليلات اللغوية.

والتي تندرج تحت إطار نظرية المعاني، او علم المعاني العامة،(علم العلامات) التي قامت جميعها على أساس التفكير البنيوي وما بعد البنيوي وامتدت الى تحليلات النقد الأدبي والثقافة ككل، كما حاولا إن يقيما أفكارهما عن طريق إعادة تحليل الأفكار الماركسية الأصلية، هذا التصور الذي قامت عليه نظرية ما بعد البنيوية معظم أفكارها، ولكن في إطار جديد يركز على أنماط الانتاج وعلاقته بالتشكيل الاجتماعي، التي طرحت برؤى سوسيولوجية جديدة.

جاءت آراء هرست لتنتقد بشدّة اراء الثوسير البنيوية وتعيد تحليلها، يستخلص نتيجة هامة إلّا وهي : أننا في حاجة ماسة إلى الاقتناع التام بتصورنا عن الذات، باعتبارها صانعة لأفعالها وليست مسيطرة عليها بصورة تامة ايديولوجيا، بقدر ما إن هي الذات تعتبر المسؤولة عن الافعال حتى لو خدعت للتعديل او التغير او بعدت عن المركز الأساسي لها بصورة عامة.

رابعا: الانتقادات الموجهة للنظرية ما بعد البنيوية

- أنتقدت النظرية البنيوية لأنها سعت لمحاوله تفسير آراء الماركسية وإعادة طرح افكارها في سوره حديثة، إلّا أنّها اخفقت في ذلك.

- جاءت معظم الأفكار المبكرة لنظريات ما بعد البنيوية كامتداد طبيعي للبنيوية، مما يجعلها مجرد إعادة وصف وتحليل للبنيوية التقليدية، أو تركيزها على الجانب النقدي فقط لآراء الثوسير.
- اتسمت الكثير من آراء وتحليلات نظرية ما بعد البنيوية بالغموض وعدم الدقة في تحديد المفاهيم، والتفسيرات المجردة الميتافيزيقية.
- لم تخرج كثيرا منهجية وفلسفة نظرية ما بعد البنيوية عن نظرية الصراع الماركسية، في رؤيتها للصراع. **(الرحمن، 2006، الصفحات 337-353)**

المحاضرة 18: الحداثة LA modernite

1- تعريف الحداثة:

في اللغة: حدث الشيء يحدث حدوث وحداثة وأحدثه هو، فهو محدث وحديث والحديث في اللغة نقيض القديم ويرادف الجديد.

أما في اللغة الفرنسية فإن صفة حديث moderne أقدم تاريخا من لفظ حداثةmodernus وكلمة Moderne تقابلها في اللاتينية Modernus، واستخدم هذا المصطلح بصورته اللاتينية لأول مرة في أواخر القرن الخامس، لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا على المستوى الرسمي عن الماضي الروماني الوثني، و يعبر مصطلح Modern عن الانتقال من القديم إلى الجديد.

إن اختلاف وتباين المفكرين والفلاسفة في تعريف هذا المفهوم يجعل من الصعب الوصول إلى تعريف دقيق فهو مفهوم غامض.

الحداثة كما عرفها علم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي جان بودريلار أنها: " ليست مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا وليست كذلك مفهوما تاريخيا بل نمط حضاري(....) عكس عالم التقاليد"

أما سوزانت جو ناتيليك بأنها " رأي عنصري المركز نشأ عن حقبة معنية من التاريخ ومن إقليم جغرافي معين.

2- خصائص الحداثة: من خلال التعاريف المختلفة لمفهوم الحداثة يمكن استخلاص مايلي:

- الطابع الشمولي الكلي للحداثة كنمط حضاري تتجسد فيه مختلف صور التقدم في شتى المجالات، و انتقال الفكر من حال لحال أدى إلى إحداث ثورات متتالية أدت إلى تغيير جذري طال كل أنماط الحياة.
- الحداثة تقابل التقليد و تتعارض معه وبالتالي إحداث قطيعة جذرية مع كل ما هو تراث وتقليد.
- ترتبط الحداثة بالتاريخ الأوربي في نشأتها وتطورها فهي مصطلح غربي خاص، فهي خط حضاري مرتبط بما وصلت إليه المجتمعات الغربية الأوربية من تطورات متعاقبة والوعي الذي صاحبها. حتى يعتبر البعض أن أوربا الغربية هي مسقط رأس الحداثة الأوربية التي أخذت تتسع وتنتشر وتأخذ بعدا كونيا وبالتالي صورة حداثة مرجعية.
- الطابع النقدي للحداثة فهي عملية تجاوز وانفصام دائم وهي تجربة لا تكتمل ومشروع دوما قيد التأسيس.**(سعد بوترعة ، 2044 ، ص 394، 397)**
- الاضطراب والتناقض في المصطلح وترجمته.
- الغموض في الألفاظ والمعاني واستخدام الألفاظ الطنانة التي لا تحمل معها شيئا حين تدبرها و الضبابية والحيرة والقلق والحمى.
- الانقطاع عن الماضي والتراث ومحاربته.
- محاربة التصور الإيماني وقواعد التوحيد.
- الصراع مع المعتقدات القديمة كلها والمعارف كلها
- كسر الشرائع **(عدنان علي رضا، 1992، ص 42)**
- مرحلة تبلغها المجمعات الإنسانية عن طريق التراكم التاريخي والخروج من الوصاية التاريخية التي فرضت على العقل في عصور الظلام.
- الحرية الإنسانية في مختلف ميادين المجتمع انطلاقا من حقوق الإنسان وتعزيزا للقيمة الديمقراطية.
- العقلانية حيث يتجلى العقل بسيادته و هيمنته في مختلف المجالات.
- تعتمد الحداثة على ركيزتين أساسيين كما يرى تورين هم العقلانية والانفجار المعرفي. **(علي أسعد وطفة، 2007، ص 107،104)**

3- الجذور التاريخية لمفهوم الحداثة: يختلف العلماء في تحديد المرحلة التاريخية التي بدأت فيها الحداثة، ويرى المؤرخون أن العصر الحديث بدأ مع اكتشاف أمريكا من قبل كريستوف

كولمبس عام 1492، ويرى المفكرون أنه يبدأ مع الأحداث التاريخية الكبرى مثل اكتشاف جاليليو لمركزية الشمس وسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين 1453.

هذا بالنسبة للعصر الحديث أما مفهوم الحداثة يتجلى في حركة الصلاح الديني في أوربا بقيادة مارتن لوثر 1517، وبعد ذلك بدأ يأخذ المفهوم أبعاده الفلسفية والسياسية في القرنين 17 و18، حيث تتمثل خصائصه في ولادة التفكير الفردي والعقلاني الذي أرسى مقوماته ديكارت و من ثم فلاسفة التنوير.

يرتبط عصر الحداثة باختراع الحداد الألماني جوتنبرغ آلة الطباعة في منتصف القرن 15، مما شكل اختراع الطباعة، المرحلة التي نقلت فيها الإنسانية من حضارة المشافهة إلى الحضارة الكتابة وبالتالي تدوين التراكم العلمي وجعله في خدمة الثورات العلمية المتعاقبة.

كما تجدر الإشارة في هذا السياق إلى الفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت باعتباره أب الحداثة، خاصة في مجال التفكير الفلسفي واكتشاف المنهج العقلي الذي بدد ظلام العصور الوسطى وحرر العقل من عبودية المعتقدات القدسية، وفي عصر الأنوار تضاعف وميض الحداثة وبريقها لاسيما نظريات كانط وأعماله الفكرية حيث أكد شرط التنوير والحداثة هو الحرية خاصة التي تنقل بحرية العقل والتفكير، وفي عصر الأنوار وما يليه ازدهرت العلوم والفيزياء والتكنولوجيا وبدأت الفنون تأخذ ظلالها الإبداعية في أوربا.

أكّدت الثورة الفرنسية 1789 حضور الدولة البرجوازية والقيم الليبرالية والديمقراطية وبدأ التقدم المستمر للعلوم والتقنيات وتطور واسع لوسائل الاتصال والمعلوماتية، هذه العوامل سجّلت انطباعاتها في مفهوم الحداثة وبدت على أنها ممارسة الجماعية ونمط حياة يقوم على التغييروالابتكار وعلى القلق و اللاإستقرار والحركة الدائمة والأزمة.

استطاعت الانجازات الحضارية وتطور العلوم والتقنيات والتطور العقلاني والمنظم لأدوات الإنتاج أن ترسم حدود الحداثة، هذه الأخيرة التي أدّت إلى تكثيف العمل الإنساني وهيمنته على الطبيعة، وتلك هي خاصية أغلب المجمعات الحداثية التي أدت إلى تغيير عميق وشامل في الحياة والفكر ما أدى إلى انتقال الحضارة من حضارة عمل و تقدم إلى حضارة استهلاك وفراغ. **(علي وطفة، 2001، ص103، 104)**

4- نقدالحداثة: قدّم علماء الاجتماع ايجابيات وسلبيات الحداثة لكن غلبوا الجانب الايجابي عن السلبي.

- لم تستطع الحداثة بنزعتها العقلانية ومغامراتها العلمية أن تحقق الغايات التي كانت أصل وجودها.

- أعلن جان جاك روسو عن مسالب الحداثة ومخاطر العقلانية الصارمة التي سلبت المشاعر السامية للإنسان، وأكد أن الحضارة المادية العقلانية تؤدي إلى تراجع الأخلاق والقيم الإنسانية وتؤدي إلى الاستلاب والاغتراب.

- أنتقدت الحداثة على مدى القرون الماضية من قبل مفكرين كبار أمثال ماركس ونيتشه وفرويد، واستطاعوا تفنيد جميع أسسها التي قامت عليها، ومن هذه الانتقادات العلاقة بين الجانب الذاتي (العاطفة والأحاسيس) والعقلانية.
- فقدت الحداثة قدرتها على تحرير الإنسان بعد أن أدت دورها التاريخي.
- وضع الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار الحداثة في قفص الاتهام وهو من أعلن نهايتها ومعلنا ميلاد عصر ما بعد الحداثة في كتابه الوضع ما بعد الحداثي 1979، ويعلن بذلك سقوط النظريات والايديولوجيات الكبرى وفشلها في قراءة الواقع وتفسيره.**(علي وطفة، 2001، ص108، 110)**

المحاضرة 19: ما بعد الحداثة Post-modernité

أولا: تعريف ما بعد الحداثة:

في غمرة الانتقادات الموجهة للحداثة دفعت بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الإنسانية خرجت من مرحلة الحداثة إلى مرحلة جديدة أطلق عليها ما بعد الحداثة، يقدر الباحثون أنها بدأت عام 1968، وهي المرحلة التي عرفت بثورة الطلاب في مختلف عواصم العالم، ويرى آخرون أنها بدأت مع سقوط جدار برلين تعبيرا على سقوط المنظومة الاشتراكية.

يشير إيهاب حسن أن لفظ ما بعد الحداثة يوحي بفكرة الحداثة وهو بذلك يتضمن بعد التوالي الزمني للعلاقة بين المفهومين، كما لا يوجد إجماع بين النّقاد على تعريف واضح لمفهوم ما بعد الحداثة، ويمكن الإشارة إلى موقف يورجين هابرماس حيث يرى بأن لفظ ما بعد الحداثة تمثل رغبة بعد المفكرين في الابتعاد عن ما في متشبع بتناقضات كبيرة و تعبير في الوقت نفسه عن سعي حثيث إلى وصف العصر الجديد.

وذلك أن الإنسانية لم تستطع أن تجد الحلول المناسبة لإشكاليات هذا العصر، ووفقا لهذا يرى هابرماس بأن ما بعد الحداثة هي صيغة جديدة لمفهوم قديم وهو الحداثة، وما بعد الحداثة مشروع محاولة لإثراء مرحلة الحداثة وإتمام مشروعها حتى النهاية. **(علي وطفة، 2001، ص114، 112)**

ثانيا: الجذور الفكرية لنظرية ما بعد الحداثة:

تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر ذلك في تحليلات سيمورفيل التي تناولت كتابات المؤرخ البريطاني أرنولد تريبني، وقد كان يرى كل من سيمورفبل وثوينبي أن ظهور فكرة ما بعد الحداثة كان مع ما يعرف بالمرحلة الرابعة في

التاريخ الغربي، وبالتحديد سنة 1875، بعد انهيار عصر الظلام وظهور الطبقات البرجوازية الوسطى وتبني العقلانية.

وفي الخمسينيات ظهرت أفكار سوسيوتاريخية لفكرة ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة الولايات الأمريكية مثل تحليلات رونالد روزنرج، عندما استخدم مفهوم ما بعد الحداثة ليصف الأحوال الجديدة للحياة في المجتمع الأمريكي، أيضا عالم الاقتصاد بيتردويكر حيث تكلم عن هذا المصطلح ورأى أن المجمع يشهد مرحلة نهاية الفرد والجماعة وسيطرة الدولة القومية ونهاية الإيديولوجيات وانتشار التحديث بصفة عامة.

مع نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ظهرت البوادر السوسيولوجية لنظرية ما بعد الحداثه من خلال تحليلات العديد من علماء الاجتماع المعاصرين مثال رايتميلز وهيستون سميث، وفي الستينيات والسبعينيات تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة ليمتد إلى مجالات أخرى غير علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد، من ذلك كتابات العديد من العلماء المعاصرين مثل بارراكلوف وفي الدراسات الأدبية والثقافية وعلوم الآثار والفنون والمسرح وصناعة الأفلام، خاصة التحليلات الراديكالية وظهور ما يسمى بثقافة ما بعد الحداثة مثل تحليلات سونتج ودفيدلر وإيهاب حسن.

من مصادر الفكر السوسيولوجي لنظرية ما بعد الحداثة تحليلات الأمريكي إمتاي اتيزيوني، الذي حاول تفسير مجموعة التغيرات في المجتمع الحديث بعد الحرب العالمية الثانية، وتحليلات دانيال بيل حول التناقضات الثقافية للرأسمالية وليوتارد وهارفي.

وفي الثمانينيات التسعينيات تطورت العوامل الفكرية والثقافية التي عملت على تحديث نظرية ما بعد الحداثة وظهرت بصورة نظرية نقدية تعالج القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والأدبية بطريقة متميزة ومختلفة عن النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة.

(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص365، 368)

ثالثا: خصائص مرحلة ما بعد الحداثة:

يصف إيهاب حسن مرحلة ما بعد الحداثة بالسّمات التالية:

- فكر يرفض الشمولية في التفكير ولا سيما النظريات الكبرى، ويركز على الجزئيات والرؤى المجهرية للكون والوجود.
- رفض اليقين في المعرفة ورفض المنطق التقليدي القائم على تطابق الدال والمدلول بمعنى تطابق الأشياء مع الكلمات.
- الإلحاح على إسقاط نظام السلطة الفكرية في المجتمع والجامعة في الأدب والفن والإطاحة بمشروعية القيم المفروضة من فوق في الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية.

من خلال هذا يرفض أنصار ما بعد الحداثة مفاهيم حداثية مثل العقل والذات، والعقلانية والمنطق والحقيقة، والحقيقة وهم لا طائل منه لأنها نتيجة العقل والمنطق وهما مرفوضان وبالتالي رفضها أيضا. **(علي وطفة، 2001، ص112، 113)**

رابعا: تصنيف المفكرين ما بعد الحداثيين: يصف ليمرت المفكرين ما بعد الحداثيين إلى ثلاث فئات

- الراديكاليون: ليوتار، بودريار، إيهاب حسن، الذين يعتبرون الحداثة شيء ينتمي للماضي وأن الوضع الراهن الثقافي الراهن لا يحتمل مقولاتها.
- الاستراتيجيون: ميشال، فوكودريدا، دولوز، الذين يتخذون من اللغة أو الخطاب أساسا لتحليلاتهم ويرفضون أية صيغة لمفهوم الجوهر الشامل، والكلية أو القيم الشمولية.
- الحداثيون المتأخرون: مثل هابرماس وجيمسون، الذين يتخذون موقفا نقديا من الأنساق الشمولية الكبرى ولكنهم لا يرفضون مفاهيم الحداثة. **(إيهاب حسن، 1981، ص11)**

خامسا: إسهامات رواد ما بعد الحداثة

1- بودرييار والتحول نحو ما بعد الحداثة:

تعددت اسهامات جان بودرييار في مجال نظرية ما بعد الحداثة كغيره من علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين وجاءت تحليلاته متبنية الاتجاه النقدي لاسيما في حملته ضد الماركسية وغيرها من النظريات السوسيولوجية الكبرى، كما جاءت بعض هذه التحليلات تطرح نظريه حول ما بعد الحداثة تحمل في معانيها الكثير من الافكار الماركسية خاصه تحليلات ماركس عن الاقتصاد السياسي.

كما كشفت تحليلات بوردرييار عن اهتمامه خاصة لتأثير التكنولوجيا والثورة المعلوماتية والإعلامية والاتصالية عموما على تشكيل نظرية ما بعد الحداثة.

وظهرت له العديد من المؤلفات والمقالات في هذا الصدد إذ يعتبر من أهم منظري نظرية ما بعد الحداثة.

في إطار التحليلات لعمليات التحوّل من الحداثة إلى ما بعد الحداثة سعى الى دراسة كيفية تحول المجتمعات من مرحلة الرمزية الى المجتمعات الإنتاجية، ففي المجتمعات السابقة على المجتمعات الحديثة كانت تتم عمليات التبادل من خلال السلسلة من الرموز المتبادلة والتي لم تكن قد حدثت من قبل، باعتبارها نوع من نسق القيم خاصة أن النسق القيّم لم يظهر إلّا في المجتمعات الرأسمالية، وناقش بودريار عملية التبادل الرمزي كما عالج قضايا أخرى مثل العمليات السياسية الصغرى والتي تهتم بدراسة العمليات والممارسات الحياة اليومية.

تلك الثورة على أساليب الحياة والخطابات مؤسساتية والجنسية وغيرها من مظاهر يمكن مناقشتها عند ظهور مجتمع جديد تلك الافكار التي اهتم بها العديد من روّاد البنائية أو ما بعد الحداثة، كما سعى بودرييار لتحليل تصورات وأفكار ما بعد الحداثة عندما اهتم بدراسة المجتمع الاستهلاكي ومظاهر الاتصال وتحليله لأنماط الانتاج الرأسمالي والثقافي والتكنولوجي، وانساق الضبط والسيطرة والثورة المعلوماتية والأنماط الترفيهية الإعلامية.

2- اليوتار وتفسير فكرة ما بعد الحداثة:

تعكس طبيعة النشأة الأكاديمية لجون فرانسوا ليوتار واهتماماته العلمية دراسة الأدب والفلسفة، ولقد ظهرت كتاباته الأولى لتركّز على الآراء السياسية أما من الناحية الفلسفية فقد تأثر كثيرا بكتابات هوسرل، وجاء أول مؤلفاته ليتناول الفينومينولوجيه1954 ، وذلك قبل قيام الحرب الجزائرية حيث تلقى تعليمه الأساسي وأصبح من أنشط السياسيين في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ليصبح راديكاليا في أفكاره وتصوراته، وهذا ما ظهر بعد عودته إلى فرنسا لينضم الى التنظيمات السياسية الاشتراكية والمناهضة للحرب الجزائرية.

تعددت مؤلفاته في مجال نظرية ما بعد الحداثة كما جاءت آراء اليوتار عن حال ما بعد الحداثة بالصورة النقدية التحليلية لنظريات الاجتماعية العامة، والتي تمثّلت في كتابات ماركس وفرويد ونيتشه، كما تبلورت فكرته عن حال مجتمع ما بعد الحداثة في إطار تصوراته عن مجتمع المستقبل، تصورات التي اقترنت بالتحليلات البنائية أو نظرية الأنساق الاجتماعية بالإضافة الى اهتمامه بالنزعة البراغماتية في مجال اللغة حيث تصور ليوتار عدم وجود لعبة ميتالغوية.

إن معالجات اليوتار لحال ما بعد الحداثة تعكس اهتماماته بدراسة أحوال المعرفة التي توجد في المجتمعات المتقدمة الرأسمالية ولهذا يؤكد بأن استخدامه لمفهوم ما بعد الحداثة يصف به طبيعة هذه الحالة، التي وصلت إليها بالفعل هذه المجتمعات، فمفهوم ما بعد الحداثة يمكن أن يسهم في دراستنا بصوره نقدية وسوسيولوجية في المحتوى العام الثقافي والمعرفي الابستمولوجي، الذي ظهر بعد انتهاء عصر التنوير مع البدايات الأولى من القرن19 ، والذي أدى إلى تغيّر القواعد العلمية في العلوم والآداب والفنون وهذا بالفعل ما أشار إليه اليوتار في أحد مؤلفاته عن حال ما بعد الحداثة.

3- هارفي وأزمة مجتمع ما بعد الحداثة:

تظهر أهمية تحليلات بعض رواد نظرية ما بعد الحداثة بأنها لا تزال تهتم بالأفكار الماركسية التقليدية وهذا في الواقع ما ظهر أيضا في تحليلات دايفيد هارفي في كتابه المميز حال ما بعد الحداثة، والذي حاول فيه أن يعرض الظروف الواقعية لمرحلة ما بعد الحداثة، وذلك من منظور ماركس صورة مباشرة أيضا لإسهامات جيدنز عن التشكيل الاجتماعي مع تمسكه بفكره البناء او النسق الكامل.

وكان هارفي حريصا على أن يخرج هذه التحليلات من منظور ما بعد الحداثة، وهذا ما ظهر في تصوراته عن حصيلة التغيرات الاقتصادية والثقافية التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة، والتي تعتبر نتاجا لحصيلة الازمات الرأسمالية التقليدية المتعددة، حيث رأى هناك عدد من الأزمات التي توجد في المجتمعات المعاصرة منها أزمة زياده الانتاج أو ما يطلق عليها بأزمة

التكديس المعرفي، تلك الأزمة التي يمكن تفسيرها من المنظور الماركسي باعتبارها نتاجا عن التناقض بين مستوى الانتاج وعلاقات الانتاج.

وإن كان هارفي يناقش أزمة زيادة الانتاج من منظور مغاير عن المنظور الماركسي بالرغم من اعترافه أساسا بأنها ناتجة عن التناقض بين قوى وعلاقات الانتاج، حيث يرى أن هذه الأزمة جاءت نتيجة للتغيرات التي طرأت على مكونات رأس المال، حيث تتنامى قوة رأس المال المخصص لعمليات التمويل للمشروعات الإنتاجية عموما، عن رأس المال الذي كان مخصصا سابقا للإنتاج الصناعي، فرأس المال أصبح أكثر مرونة والانتقال ما بين انماط الانتاج.

4- ميزليس والنظرية التركيبية السوسيولوجية:

تكمن أهمية تحليلات نيكوس ميزليس أستاذ علم الاجتماع بمدرسة لندن للاقتصاد أنّها تندرج تحت نطاق نظرية ما بعد الحداثة، ولكنّها تأخذ منحى آخر عن بقية التحليلات السابقة، لا سيما أنّها تعد محاولة سوسيولوجية خالصة للعودة مرة أخرى الى النظرية السوسيولوجية، التي أشار إليها في أحد مؤلفاته التي تحمل نفس العنوان الذي نشر عام1990 ، وإن كان هذا العمل السوسيولوجي المميز قد اتبعه بكتاب آخر وهو النظرية السوسيولوجية ماذا حدث خطأ الذي صدر عام 1995.

من خلال كتابات ميزليس يلاحظ حرصه الشديد على العودة إلى النظرية السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، ولا سيما أنّه رأى مجمل هذه التحليلات والنظريات السوسيولوجية التي ظهرت خلال النصف الأخير من القرن العشرين عامة، والعقدين الأخيرين الثمانيات والتسعينيات خاصة، ظهرت كرد فعل نقدي أو مناهض لأفكار رواد علم الاجتماع التقليديين والمحدثين لا سيما تحليلات عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز.

من منظور سوسيولوجي مميز سعى ميزلس ليوضح أن المحاولات التركيبية من جانب علماء الاجتماع أو غيرهم من علماء العلوم الاجتماعية الذين يؤمنون بقيمة النظرية السوسيولوجية قد بدأت منذ فترة ليس بالقصيرة للتأكيد على ضرورة العودة إلى هذه النظرية، لا سيما بعد فشل النظريات البنيوية وما بعد البنيوية وما بعد الحداثة ايضا.

في نفس الوقت تصور مزليس أن النظرية الاجتماعية التي حاولت أن تشكك في قدرة أهمية النظرية السوسيولوجية قد جاءت كرد فعل لنظرية بارسونز السوسيولوجية والبعض الآخر جاء في صورة انتقادات شديدة، لكن معظم هذه المحاولات لم تتبن كلية تحليل آراء بارسونز أو فهمه بصوره شاملة سواء من الناحية النظرية أو المنهجية أو طبيعة المفهومات والأفكار السوسيولوجية التي سعت لمعالجتها بصورة واقعية ونظرية في نفس الوقت.

لذا رأى ميزليس أن النظرية الاجتماعية وما تمخض عنها من نظريات فرعية لم تنجح في فهم نظرية بارسونز، كما لم تنجح في بناء نظرية تمثلها مكانة وأهمية.

5- جيدنز ونظريه التشكيل الاجتماعي:

اكتسبت تحليلات عالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيدنز شهرة أكاديمية عالمية قد تناظر اسهامات بارسونز السوسيولوجية، وتمثل مرتبة سوسيولوجية التقارب أهمية كتابات سبنسر على المستوى البريطاني وماكس فيبر على المستوى الأوروبي، كما يرى الكثير من المنظرين أن اهتمامات جيدنز تناولت الكثير من قضايا علم الاجتماع سواء على المستوى النظري أو الميداني.

كما جاءت لتشمل مجالات متعددة في تاريخ الفكر الانساني، بالإضافة الى أنها تعد محاولة جادة لتوجيه العلوم إلى البحث السوسيولوجي المتعمّق، هذا بالرغم من اتخاذه موقفا نقديا راديكاليا من هذه النظريات من النظريات الاجتماعية الأخرى، وذلك في محاولة منه لوضع نظرية ترتبط باسمه.

يرى جيدنز أنّ النظريات السوسيولوجية سواء كانت نظرية شاملة أو نظريات مصغرة لم تهتم إجمالا بشي ما اسمه المجتمع وإنّما ركّزت على شيئين مستقلين هما البناء والفعل، وهذا يعتبر خطأ من الناحية الواقعية، لذلك حرص جيدنز على عرض فكرته عن التشكيل والتي تعتبر الفكرة المحورية في نظريته، والتي تؤكد على ضرورة أن ينظر لعلم الاجتماع ونظرياته المختلفة بأن هناك ما يسمى بثنائيه البنية، وضرورة أن يجمع بين البناء والفعل باعتبارهما العنصران الأساسيان اللذان يتكون منهما المجتمع.

وهذا ما أشار اليه في مؤلفه تكوين المجتمع، الذي جعل عنوانه الإطار العام لنظرية التشكيل وحرص على أن ينظر الى مصطلح البناء كشيء مختلف تماما عن النظريات السوسيولوجية التقليدية أو المعاصرة ومن ثم إفان تصوره لمفهوم البناء يشمل مجموعة من القواعد والمصادر وهو إلى حد ما يمثل القاعدة التي يمكن عن طريقها فهم السمات ومظاهر الحياة الاجتماعية، كما أن البناء مثل اللغة فإنها تتغلغل في جميع مكونات الفعل والنشاط الاجتماعي ككل.

(الرحمن، 2006، الصفحات 369-388)

سادسا: تقييم نظرية ما بعد الحداثة

رغم أهمية نظرية ما بعد الحداثة في دراسة الواقع الاجتماعي إلّا أنها تعرضت لمجموعة من الانتقادات وهي:

- تبنّى أنصار ما بعد الحداثة المنظورات التحليلية المتصارعة، كما جاءت تصوراتهم بطابع ديوجماطيقي من الدرجة الأولى كما جاءت تحليلاتها للظواهر الاجتماعية من خلال تبني منظورات ثقافية غير مترابطة وغير متجانسة.

- في تفسيرها للواقع الاجتماعي بعد التصنيع من خلال دراسة المراحل الحديثة من مرحلة الرأسمالية الغربية فقط، وتنوعت مداخلها لدراسة الظواهر الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية والسياسية والاجتماعية، لكنّها لم تستطع أن تحلل العلاقات المتداخلة بين هذه الظواهر أو معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى مرحلة ما بعد الحداثة.

- اتسمت تحليلاتها بالمغالاة في تبنيها المدخل الثقافي وبذلك لم تعط اهتماما كبيرا لدراسة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الواقعية.

- اتسمت آراء أصحابها خاصة ما بعد السبعينيات بالطابع الميتافيزيقي الفلسفي المجرد، مما جعلها غامضة مبهمة بعيدة عن التحليل السوسيولوجي الواقعي، هذا ما تم اعتبارها نظرية اجتماعية تبنت الكثير من المداخل الابستمولوجية والميتافيزيقية.

- تعتبر آراء ميزليس حول النظرية التركيبية السوسيولوجية عن التشكيل الاجتماعي محاولات جادة للرجوع إلى النظرية السوسيولوجية لكنها في مرحلة المشروع.(**عبد الله محمد عبد الرحمن، 2006، ص 397، 398)**

- إفراط ما بعد الحداثة في هدم الأطر المعرفية التقليدية دون تقديم بدائل قابلة للتطبيق، فعوضا من تقديم نظريات قدمت وعودا فقط.

- إفراط ما بعد الحداثة في الجانب النظري ولم تهتم بالجانب الحقيقي بدرجة كافية، وقالت بأنه لا يوجد ما يسمى بالعالم الحقيقي في العالم الاجتماعي.

- افتقار ما بعد الحداثة إلى مرجعية موحدة وسقطت في فخ التعددية المفرطة، مما جعل العالم الذي يأمله أنصارها مفكك يفتقد للمنظومة المعرفية والأخلاقية.

- يوجد من شكك في عدم جدية الفكر ما بعد الحداثي في التحرر من قيود الحداثة ويراها ذات مركزية غربية أوربية رغم أنها كانت تعيب الحداثة.

- يرى الوضعيون وفي مقدمتهم الواقعيون الجدد أن ما بعد الحداثة أقل تأملية مما تدعيه، ويطغى عليها الجانب الفلسفي أكثر من الإجرائي. **(بدر الدين بوقريطة، دت، ص 243)**

المحاضرة 20: بعض الأعلام المحدثين

أولا: بيير بورديو

1- من هو بييربورديو؟ (2002/1930)عالم الاجتماع فرنسي وأحد أبرز المراجع العالمية

في علم الاجتماع، ولد بجنوب غرب فرنسا لأب موظف في مصلحة البريد، درس بمدرسة المعلمين العليا وتخرج منها أستاذا مهما في الفلسفة عام 1954، أرسل إلى الجزائر في المدة

ما بين 1958 -1960 ليؤدي الخدمة العسكرية وفيها كون مساره المهني في علم الاجتماع، وقام بتحقيقات ودراسات إثنولوجية بالجزائر مبتدءا بمنطقة القبائل والثانية بالقل حول موضوع إعادة الإنتاج السلطة الذكورية في المجتمع القبائلي التقليدي، وألف كتابه" السلطة المذكورة " نشر في 1998.

لفت كتابه" الورثة " عام 1964 بمعية جون كلود باسرون الأنظار إلى أصالة أعماله وبذالك دخل خانة كبار المفكرين.

وفي 1996صار أستاذا بالمدرسة العليا للمعلمين، وفي عام 1990 خاض معركة الحياة السياسية الفرنسية فترأس لجنة تقييم مناهج التدريس بوزارة التعليم 1993، ثم نشر كتابه " بؤس العالم " مع كتاب آخرين، حيث كان سببا رئيسيا لظهوره على مسرح الحياة العامة، إذ حاز في نفس السنة على الميدالية الذهبية للمركز القومي للبحوث **CNRS**،وفي أواخر عمره زادت شهرته بعد خروجه في مظاهرات مع فئات المضربين.

أنتج بورديو أكثر من30 كتابا ومئات المقالات والدراسات، ترجمت فيما بعد للعديد من لغات العالم وجعلته يأخذ مكانة مهمة بين الأسماء الكبرى في علم الاجتماع والفكر النقدي منذ نهاية ستينات القرن الماضي، نشر أغلبها في مجلات عالمية فرنسية منها: المدرسة المحافظة، اللامساواة أمام المدرسة والثقافة. **(سعاد بلحريزي، د ت، ص1)**

2- لمحة بيبليوغرافية لبييربورديو: يعتبر كتابه " أسئلة علم الاجماع - في علم الاجتماع الانعكاس - المصدر الأساسي للمقاربة الانعكاسية في ابستيمولوجيا بورديوو، بدرجة أقل كتابه" حرفة علم الاجتماع " الذي يعد من آخر ما كتب و نشر في 1993، مرورا بأول مؤلفاته "علم اجتماع الجزائر" سنة 1958 عندما كان أستاذا في جامعة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وهو الكتاب الذي فتح له أبواب الاستمولوجيا الإجتماعية على مصرعيها، تلته بعد ذلك الكثير من الكتب مثل "التمييز"، الذي كان كتابا محوريا في التحليل الاحصائي.

وكتابه" إعادة الإنتاج" بين فيه أسس النظام التعليمي في أوربا البرجوازية، ثم كتابه « الهيمنة الذكورية» تكلم فيه عن العلاقات الأسرية وكيف تسيطر الذكورية في المجمع تحت تأثير الهابيتوس، ومن كتبه المتاخرة «بؤس العالم» حيث كتبه في ثلاثة أجزاء، وكشف فيه تلاعبات النيوليبرالية المتوحشة والذي يعتبر الدليل الامبريقي للابستيمولوجية المعاصرة ، ثم كتابه « التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول» الذي كرسه لنقد الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام والميديا الفرنسية على الخصوص والغربية في تكريس الأوضاع السائدة والتلاعب بعقول الناس، هدا وغيرها من المؤلفات التي عدت بالعشرات ومقالاته التي تجاوزت الـ 260 مقالا. **(صالح حميدات،2021، ص 305)**

3- عوامل بروز بورديو في مجال النظرية السوسيولوجية:

- قدم إسهاما ملموسا في الجدل حول العلاقة بين البناء والفعل، الذي تجدد أواخر السبعينيات وأوائل التسعنيات من القرن العشرين، باعتباره مسألة رئيسية في مسائل النظرية الاجتماعية.

- إنشغل بالعمل الامبريقي المنتظم والتنظيم النقدي وهو صاحب مقولة: «والنظرية بدون بحث امبريقي خواء والبحث الامبريقي بدون نظرية هراء».
- كان باحثا نشطا في حياته المهنية وتساؤلاته الابستمولوجية عن ماهية المعرفة السوسيولوجية الملائمة
- مؤلفاته تثير القارئ وتدفعه إلى التفكير معه ويستفيد من أفكاره. **(زهية دباب ،2022، ص 139)**

4- إبداعات بييربورديو المفاهيمية:

الهابيتوس Habitus : تعود الكلمة إلى الأصل اليوناني **Hexis** ومنه ترجم إلى اللاتينية **Habitus**، ويعتبر هذا المفهوم بمثابة النواة التي يقوم عليها المشروع السوسيولوجي النقدي لبييربورديو، ولم يقدم له تعريفا دقيقا في البداية وأعطاه تعريفات مختلفة قبل أن يرسى في النهاية على تعريف نهائي، وهو عبارة عن تلك البنية المولدة لكل ممارسة والموجهة لكل ما هو مقبول وما هو مرفوض من جانب الفرد فهو يضع حدودا لطموح وللحلم لدى الأشخاص. **(صلاح الدين لعريني،2014، ص65، 66)**

الهابيوس هو نسق من الاستعدادات يعمل وفق آليات داخلية معقدة تكون حدود النسق وتشكله في استقلالية عن محيطه، وتظهر إلى العلن في ممارسات تعبر عن الهوية الاجتماعية لصاحبه وانتمائه، وهو يتعلق بأربع مستويات، العرضي والخلفي والجمالي وهيئة الجسد، ويعتبره بعضهم خطأ مردف للتنشئة الاجتماعية لكنه في الواقع جزء من نظرية بييربورديو حول الممارسة الاجتماعية.

الحقل le champ: إستخدم بييربورديو هذا المصطلح كأداة تفسيرية وسيطة تربط مقاربة الممارسة الإجتماعية بفهم البناء الكلي للمجمع، و تتيح له فهم العلاقات والتفاعلات في المجتمع، وقسمه إلى حقول جزئية مختلفة، وبنية الحقل هي حالة الصراع بين الفاعلين للتحكم في الموارد وتحقيق المصالح، خاصة تلك التي بين الجديد الذي يريد الدخول دائرة السلطة والقديم الذي يريد الاحتفاظ بها.

رأس المال النوعي أو الخاص:capital spécifiqu يعتبر هذا المفهوم مركزيا في المشروع النظري لبييربورديو، وهو مستمد من الاقتصاد الكلاسيكي واستخدامه هنا لا يقتصر على هذا البعد فقط وإنما يتجاوزه إلى أبعاد أخرى مثل: الرأسمال الثقافي والاجتماعي والرمزي مما يعكس تفسيرا متعدد الأبعاد للظواهر الاجتماعية، وهو السلطات الإجتماعية الرئيسية وفقا لهذه

الأبعاد، ويرى بييربورديو أن رأس المال النوعي هو كل طاقة يملكها الفرد ويعتمد عليها في التميز والمنافسة. **(محمد سنينة، هشام معبري، 2017، ص 5،7)**

العنف الرمزي: يشكل واحدا من أكثر اكتشافات بورديو الفكرية تألقا وأهمية ويعتبر الحجر الأساس في مملكته الفكرية، ويشكل منطلقا منهجيا للكشف عن الفعاليات الذهنية التي يمارسها المجتمع في تشكيل عقول الأفراد.**(زهية دباب، 2021، ص142)**

إعادة الانتاج la reproduction: وهو أحد وسائل الدفاع الذاتي الذي يمارسه المجتمع بواسطة مؤسساته بإعادة إنتاج الهيئات الاجتماعية وإعادة تراتبية اجتماعية عن طريق الوسائل التعليمية من مدارس وجامعات ومؤسسات ثقافية وتعليمية، وإعادة صياغة بنى وأنظمة رمزية جديدة. وقد حلل بييربورديو وزميله كلود باسرون النظام التعليمي الفرنسي في كتابهما «إعادة الانتاج».

القيمة الذكورية la domination Masculine : لأهمية هذا المصطلح خصص له بييربورديو مؤلفا خاصا ذكر فيه الكثير من الأفكار الجوهرية في المجتمع، كالعنف الرمزي والسيطرة الذكورية على الجنس الأنثوي، وكيف يتقبل هذا الأخير هذه السلطة في إطار الهابيتوس الاجتماعي، مما جعله يطرح الكثير من التساؤلات عن الآليات التاريخية لهذه الظاهرة ليجد أن سبب ذلك آليات إجتماعية، بيولوجية وتاريخية.

(صالح عميدات، 2004، ص318، 320)

ثانيا: جان بودانJean Bodin:

1- نبذة مختصرة: مفكر سياسي فرنسي ولد في 1529 وتوفي في 1526، عاش

حقبة مخاض التحولات الكبرى الأوروبية، حيث الارتفاع في الأسعار و التحولات الجديدة في الواقع السياسي والاجتماعي الأوروبي، مما دفع هذا الواقع الى طرح زخم من التساؤلات المقلقة و الحائرة التي تؤدي الى معالجات و قراءات جديدة، فكان بودان من المفكرين الذين واجهوا هذه المهمة الشائكة، حيث قدم معالجات اقتصادية لارتفاع أسعار البضائع وقراءة التطورات التي شهدها واقع التبادل السلعي في العالم، متأثرا بالتجربة الرومانية ومحاولته الخروج بقانون للحركة التاريخية، ومن خلال تجربته في المجال السياسي، حيث عمل نائبا في مجلس الطبقات العام.

أهم مؤلفاته « الكتب السنة في الجمهورية » ملتفا الانتباه إليه كونه مفكرا سياسيا نابها ذو رؤى وتصورات متميزة. **(إسماعيل نوري الربيعي،2014، ص50)**

2- فكرة السيادة عند بودان: يعتبر جان بودان أول من بلور فكرة السيادة

la Souveraineté خلال القرن السادس عشر بكتبه السنة للجمهورية التي أشهرته « Les Six livres la République de Jean Bodin»

وعرّفها بالسلطة العليا المعترف بها والمسيطرة على المواطنين والرعايا دون تقييد قانوني، ماعدا القيود التي تفرضها القوانين الطبيعية والشرائع السماوية.

ويقصد بمنح السيادة المطلقة نزع السلطة واستغلال الثروات والتوسع من يد الأمراء والاقطاعيين والنبلاء (اللوردات) والكنيسة والإمبراطورية الخارجة (الرومانية-الجرمانية)، وهدفه بجعل السيادة السلطة المطلقة والدائمة يعني أكبر سلطة للحاكم. **(سليمان سالم، عز الدين مسعود، 2021، ص687)**

قائمة المراجع:

أولا: الكتب

1. إبراهيم عيسى عثمان.(2008) النظرية في علم الاجتماع .عمان: دار الشروق.
2. إبراهيم عيسى عثمان (2007). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. عمان: دار الشروق.
3. أحمد زايد (2006). علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية. مصر: نهضة مصر
4. جمال محمد ابو شنب (2015). النظرية في علم الاجتماع. حلوان :دار المعرفة الجامعية.
5. حسام الدين فياض (2011). النظرية النقدية عند ميلز، صفحه نحو علم الاجتماع تنويرى
6. زولتان تار (2004). النظرية الاجتماعية ونقد المجتمع. الإسكندرية: المكتبة المصرية.
7. السيد عبد العاطي السيد(2005). النظرية في علم الاجتماع. الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية.
8. السيد علي شتا (2004). نظرية علم الاجتماع. الاسكندرية. المكتبة المصرية.
9. طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات (دت). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع القاهرة: دار غريب.

10. عبد الباسط عبد المعطي (1981). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع الكويت: عالم المعرفة.
11. عبد الله محمد عبد الرحمن (2006). النظرية في علم الاجتماع النظرية الكلاسيكية الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية
12. عبد الله محمد عبد الرحمن (2006). النظرية في علم الاجتماع النظرية المعاصرة الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية.
13. عدنان علي رضا النحوي (1992). تقويم نظرية الحداثة المملكة العربية السعودية: دار النحوي
14. فادية عمرالجولاني (2009). الظاهرية والنماذج النظرية في العلوم الاجتماعية الإسكندرية: المكتبة المصرية
15. محمد الصاوي محمد مبارك (1992) .البحث العلمي أسسه وطريقه كتابته . القاهرة :المكتبة الاكاديمية.
16. محمد عبد السلام .(2020) .مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية .د ب: مكتبه نور.
17. معن خليل عمر (2005) نظريات معاصرة في علم الاجتماع عمان: دار الشروق.

ثانيا: المقالات العلمية

1. ابرادشه فريد .(2017)البحث العلمي بين النظرية والواقع :المفاهيم العلاقة والغايات. المسيلة: الآفاق للدراسات الاقتصادية. العدد3.
2. أوزقزو عبد القادر (2018). الخيال السوسيولوجي في بناء الإشكالية. مجلة سلسلة الأنوار المجلد 8 العدد .1
3. إيهاب حسن (دت). ما بعد الحداثة إلهام المصطلح وغموض الدلالة.
4. بوقريطة بدر الدين (دت). نظرية ما بعد الحداثة ومدى مساهمتها في التنظير للعلاقات الدولية. مجلة أبحاث قانونية وسياسية
5. سعد بو ترعة (2018). الحداثة مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر. مجلة المدونة.
6. علي أسعد وطفة (2001). مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة. مجلة فكر ونقد. 43.
7. منصور عمارة الطيف، فيضي عمر المرابط(2019) . العلاقة بين النظرية والبحث العلمي ودورها في إعداد الدراسات العلمية .طرابلس: مجله كلية الآداب .العدد34.
8. وشنان حكيمه .(2017) .النظرية العلمية وعلاقتها بالبحث العلمي البحث الاجتماعي نموذجا .الجزائر :مجلة آفاق للعلوم.العدد7.

ثالثا: المطبوعات العلمية:

فريجة عبد الرحمن (2024). نظريات سوسيولوجية حديثة. الجزائر.